السنة الثالثة　　　　العدد ٨　　　　١٥ نيسان سنة ١٩٠٠

المشرق

البحث الصحيح

في ذخائر آلام السيد المسيح

بقلم الاب سبستيان رترفال اليسوعي

لم يكن عصرنا هذا عصر العلوم التاريخيّة ومتعلّقاتها ليهمل تفقُّد ما بقي في عالم الوجود من آثار آلام ربّنا يسوع المسيح لهُ السجود. بل قامت فيه جلّةٌ من العلماء والخبيرين بالعاديّات المسيحيّة يتعمّقون في هذا البحث الشريف العائد الى تنشيط ايمان المؤمنين فضلًا عن تفنيد حجج الجاحدين. فلمّا كانت الأيام الحاضرة أليق زمن للكلام عن هذا الموضوع التقويّ والعلمي احببنا ان نعرض لعامّة قرّائنا الكرام خلاصة ما انجلت عنهُ مساعي هؤلاء أصحاب الآثار القديمة من النتائج الصحيحة الجليّة في الآلام الربّانية

ولا يخفى ان هذه الآلام قد ابتدأت عند دخول الفادي بستان الجتسمانية لمّا « خرّ على ركبتيهِ. . . واخذ في النزاع. . . وصار عرقهُ كقطرات دمٍ نازلة على الارض » (لوقا ٢٢: ٤١-٤٤). على اننا لا نقصد في هذه اللمعة الوجيزة الإخبار عن جميع الاماكن والظروف التي قاسى فيها مخلّصنا الرؤوف اوجاع فدائنا فان ذلك موضوع واسع المجال يُطّلَع عليهِ في الكتب المختصة بوصف الاماكن المقدسة وما اشبهها. بل نقصر كلامنا على الآلات التي استُعملت لعذاب جسد ربّنا يسوع المسيح مثل الصليب والمسامير واكليل الشوك وغير ذلك من الذخائر المقدسة التي شاء الله تعالى ألّا تسطو عليها يد الضياع. ولسهولة المنوال قسمنا البحث الى ابواب فنقول وعلى الله الاتكال :

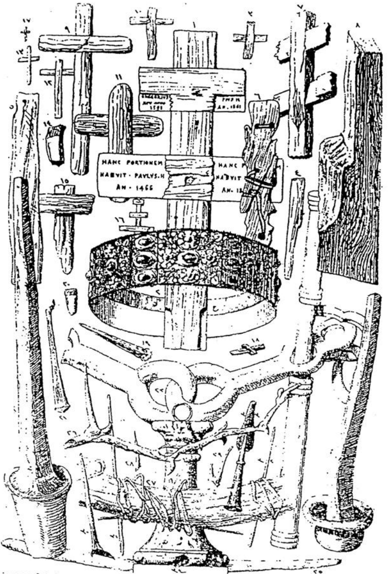
١ اكتشاف الذخائر المقدسة

كان القديس مقاريوس الاسقف الاورشليمي مدّة مكثهِ بمدينة نيقية التي حضر فيها المجمع المسكوني الاول (٣٢٥) قد فاوض الملك قسطنطين المعظم ووالدتهُ القديسة هيلانة في امر القبر المقدس فاعرب لهما عن أسفهِ الشديد على فقدان آثار الصليب. ولم يمضِ على رجوعهِ الى اسقفيتهِ الّا بضعة اشهر حتى عوّلت الملكة هيلانة على السفر الى القدس. ولمّا انتهت اليهِ خفَّ لاستقبالها القديس مقاريوس في جمٍّ غفيرٍ من الاكليروس والشعب الاورشليمي. ثم سألت عن موضع القبر المقدس فأُتي بها الى هيكل الزُهَرة الذي كان شيَّدهُ هادريانوس الملك عند ترميمهِ للمدينة (١٣٦) وقيل لها اعتمادًا على تقليد متواصل انَّ هناك قبر المخلّص (١. واما الصليب فلم يمكن احدًا ان يشير الى مكمنهِ رغمًا عمَّا بذل القديس مقاريوس من الجهد في استخبار السكّان ومراجعة نصوص المؤرخين. لكنَّ الملكة ارتأت ان الصليب لا بُدَّ من ان يكون على مقربةٍ من القبر المقدَّس اي تحت سطوح الهيكل المذكور فامرت بهدم الهيكل واذا بالقبر المقدَّس يُحاذيهِ تلُّ الجلجلة لا يفرق بينهما الّا وادٍ ضيّق وكان في اسفل الوادي مغارتان وجدت في احداها ثلاثة صلبان ومسامير ولوحة خشب مكتوب عليها « يسوع الناصري ملك اليهود »

قال روفينوس: كان لهذا الاكتشاف الجليل فرح لا يوصف. بيد ان صفاء هذه البشرى كاد يتكدَّر لصعوبة التمييز بين الصلبان الثلاثة. لكن الله تعالى لم يكن ليضنَّ بنعمهِ على شعبهِ. بل منحهم آية باهرة كَلّل فرحهم وزادهم ايمانًا وتقىً. وهي ان امرأة من نساء المدينة كانت طريحة الفراش من مرض معضل اشرفت معهُ على الموت. فاتاها الاسقف بالصلبان ووضعها عليها بالتتابع. فلمّا لمسها الصليب الثالث شفيت في ساعتها وقامت تسبّح الفادي. وللحال عرف الكلّ معرفة لا يشوبها ريبةٌ ان هذا الصليب هو الخشبة المقدسة التي مات عليها ربنا يسوع المسيح

هذا ما كان واجبًا إيرادهُ من خبر اكتشاف الذخائر المقدّسة. وقد اختصرناهُ

١) لا شك في ان المسيحيين الاولين كانوا يعظّمون قبر المخلّص وتلّ الجلجلة ويقدّسونها ولذلك امر هادريانوس الوثني ببناء الهيكل عليهما. غير ان سماه عاد نافعًا كما رأيت اذ اصبح ذلك الهيكل علامةً اكيدةً على موضع صَلْب المسيح وقبرهِ



Imprimerie Cath. Beyrouth

صورة اشهر ذخائر آلام السيد المسيح (عن تأليف روهو دي فلوري)

(اطلب الشرح في ص ٣٤٧)

بيد ان هرقل لم يرَ بدًّا من نقل قسم آخر من الذخيرة الى القسطنطينيَّة لأسباب ليس هذا الموضع موضع إيرادها. ومنذ هذا الزمن بدأ توزيع الذخيرة المقدَّسة على مدن كثيرة غير رومية والقسطنطينيَّة (١

اليك مُلخَّص ما قرأناه في تصانيف المؤرخين: لمَّا مات هرقل سنة ٦٤١ خاف مسيحيو القدس على سلامة ما بقي لهم من الذخيرة لاسيا وقد أحرق اعداؤهم كنيسة القبر المقدَّس فقسموها الى ١٩ جزءًا ارسلوا ٣ منها الى كلٍّ من القسطنطينيَّة وانطاكية وقسمين الى جزيرة قبرس وقسمين آخرَين الى بلاد الكرج وقسماً الى جزيرة اقريطش والى الرها والاسكندريَّة وعَسقلان ودمشق ولم يحفظوا عندهم سوى ٤ أقسام لا يُعلَم مقدار جرمها. وفي مرور الأيام ومع تقلُّبات الدول قسمت ذخائر الصليب الى اقسام شتى غيرها وانتشرت الى اقاصي البلاد. وفي سنة ١٢٠٤ عند غزوة الاوربيين للقسطنطينيَّة اوشكت يد الضياع ان تستولي على الذخائر العديدة التي كانت في معابد هذه العاصمة لولا تقى بعض المؤمنين فانهم جمعوها باكرام وأسرعوا في تفريقها على اماكن اخرى لا تحصى.

وليس غرضنا هنا البحث عن جميع القِطَع التي تُحفظ اليوم في انحاء المعمور إنْ في كنائس المدن وإنْ في الاديرة او البيوتات الخصوصيَّة. فانها الوفٌ متفاوتة الاجرام ووصفها يقتضي تأليف مجلَّد ضخم. غير اننا نقول على وجه الاجمال ان ذخائر الصليب في اوربَّة اوفر منها في الاقطار الشرقيَّة بكثير (٢. ومن الذخائر المشهورة ما يُكرَّم منها في اكس لاشابال وفي باريس في كنيسة السيدة (Notre-Dame) وفي كنائس رومية لاسيا كنيستيّ الصليب المقدس الاورشليمي والقديس بطرس هامة الرسل. وكل من سار

١) ليس مرادنا بهذا القول ان ذلك التوزيع لم يبتدئ قبل ايام هرقل. فاننا نعرف يقيناً ان كنيسة تِبكتر من اعمال الجزائر احرزت قطعةً من الصليب المقدس منذ سنة ٣٥٩ (طالع Analect. Boll. X, p. 367) بل غاية ما نريد ان ذلك التوزيع تكاثر في القرن السابع. ومع ذلك قابل Nilles : *Kalend.* I, 275 وهو يقول فيهِ اعتماداً على كلام القديس كيرلُّس الاورشليمي «ان ذخيرة الصليب لم تلبث الَّا قليلًا بعد اكتشافها حتى وُزِّعت الى جميع اقطار العالم». اما نحن فنعتبر كلام القديس كيرلُّوس ضرباً من المبالغة

٢) ومعظمها وارد من اوربَّة لاسيما من رومية. وهذا يدلُّ صريحاً على فقدان عدَّة من الذخائر المقدَّسة في هذه البلاد مدَّة الحروب والتقلُّبات الدوليَّة التي جرت في القرون المتوسطة



ذخيرة يوستينوس الثاني في رومية (مصغّرة نحو ربعها) (١)

الى عاصمة الكثلكة يعلم الاحتفالات البهيَّة التي تجري يوم الجمعة الكبيرة عند تكريم المؤمنين لذخائر الصليب. ومن اعجب الامور ان بيت المقدس الذي فيه وُجِد هذا الكنز الدفين لا يملك في يومنا هذا الَّا قطعًا قلائل منهُ ورد معظمها من رومية – –

وما لا مرية فيهِ ان البقايا التي تُسمَّى ذخائر الصليب المقدَّس ليست كلّها صحيحة (٢. ومع ذلك لو جمعتَ كلَّ القطع المعروفة في العالم صحيحةً كانت ام لا

---

١) طالع كتاب اسطفان بُرْجيا المُعَنْوَن *De Cruce Vaticana*, 1779 . ومضمون الكتابة ما يلي :

Ligno quo Christus humanum subdidit hostem
Dat Romæ Justinus opem et socia decorem

ومعناها : انَّ يوستينوس الملك اهدى لرومية هذه الذخيرة من الصليب المقدَّس ليكون لها حرزًا وفخرًا

٢) ومن الحوادث التي تبرهن رأينا هذا ما يعرفهُ اهالي بيروت من خبر امرأة فقيرة ماتت

فالجملة لا تتجاوز ثُمن جرم الخشبة التي كُثّل عليها ابن الله فداء البشر (١). وهذا مبني على حساب احد العلماء. وقد بحث بكل تدقيق وبآلة ميكروسكوبية عن الذخائر التي لا شكَّ في صحتها فوجد انَّ خشب الصليب كان نوعاً من الصنوبر وان ثقلهُ قريب من مئة كيلو (٢)

واماً شكل الصليب المقدس فالراجح انهُ لم يكن مختلفاً عن هيئة صلباننا العاديَّة اي على هذه الصورة † لا على شكل التربيع + ولا على هذا الشكل × . وفي هذا الصدد ابحاث عديدة وتآليف مخصوصة اضربنا صفحاً عن ايراد فحواها خوف الاطالة. ولعلّنا سنقرع هذا الباب ثانية ان شاء الله

٢ ذخائر المسامير المقدسة

لا نعرف معرفةً اكيدةً أكانت المسامير المقدسة ثلاثة او اربعة. بيد ان الارجحيَّة للعدد الاخير حسب رأي معظم العلماء والخبيرين بالعاديَّات النصرانيــة. وذلك ليس فقط لان المصلوب لا يقدر ان يقوم على الخشبة ما لم يثبت رجليهِ مسماران بل ايضاً لان أقدم الايقونات الشرقيَّة تصوّر الفادي معلَّقاً على الصليب باربعة مسامير. وممَّا لا ريب فيهِ ان مخلّصنا عُلّق بمسامير لا بحبال كما يتَّضح من كلامهِ تعالى الى القديس توما الرسول بعد قيامتــهِ (يوحنا ٢٠ : ٢٧)

قد مرَّ بنا ان المسامير المقدَّسة وُجدت في جملة الذخائر التي اكتشفتهــا القديسة هيلانة بعد هــدم هيكل الزهرة. قالت قدماء المؤرخين: ان والدة الملك قسطنطين ادخلت احد المسامير المقدسة في حلية جواد ابنهــا والثاني في خوذتهِ والثالث في رأس تمثالهِ. ورمت الرابع في البحر كي تنال من الله تعالى خمود زوبعة هائلة اصابتها في اثناء

منذ بضعة اشهر وكانت تحمل على صدرها حُقة صغيرة تزعم ان فيها ذخيرة عود الصليب. فلماً قرب اجلها تحقَّق جيرانها ان تلك الذخيرة لم تكن سوى نقود ذهبيَّة تساوي ٥ ليرات عثمانية. فتأمل

١) راجع الحاشية الثانية في الوجه ٣٤٠

٢) ومن هذا الحساب الجليل يظهر لك اولاً كفر كلوين الهرطوقي الذي كان يستهزئ بتُقى الكاثوليكيين قائلًا ان جملة القِطَع المكرَّمة في العالم تكفي لتركيب مئة صليب كصليب ربنا يسوع المسيح. وثانياً وَهن مزاعم القائلين بان الصليب الذي اكتشفتهُ القديسة هيلانة لم يكن الصليب الصحيح وهم مدَّعون ان الخشب لا يدوم سليماً مدَّة قرون. والحال ان خشب الصنوبر المطمور في الارض لهُ خاصة هذا الدوام وقد اتت العلماء على ذلك بالبراهين القاطعة

سفرها . غير انَّ هؤلاء المؤرخين لم يوردوا تفاصيل الخبر . والظاهر ان القديسة هيلانة لم تسبك في حلية الجواد والخوذة والتمثال سوى قِطع دقيقة من المسامير المقدَّسة . ومن المرجَّح ايضاً انها لم ترمِ المسمار الرابع في لجج البحر بل اكتفت بادخاله زمناً في المياه ريثما تسكن شدَّة العاصفة

ولم يبرح معظم ذخائر المسامير محفوظاً في القسطنطينية الى نحو ٥٥٠ . ثمَّ وُزِّعت كذخائر الصليب على كنائس واديرة ومعابد شتى لاسيا في بلاد المغرب . ومن جملتها تاج ملوك ايطالية المشهور وقد سُمّي تاج الحديد تذكاراً للذخيرة التي يحتويها وذلك ان قطعةً من المسامير قد طُرقت على شكل اكليل تطريقاً دقيقاً ثمَّ طُبّق الاكليل على دخل تاج ذهبي مزخرف بانفس الجواهر . والتاج المذكور يُصان الى يومنا في مدينة مُنزا بجوار ميلانو إحدى عواصم ملوك اللمبارديين في الاعصار المتوسطة . ومن ذخائر المسامير المشهورة المسمار المكرَّم في كنيسة السيدة بباريس والذي في كاتدرائية مدينة تريف من اعمال المانية . وقيل انَّ هاتين الذخيرتين والذخيرة التي في كنيسة الصليب الاورشليمي برومية ممَّا بعثتهُ القديسة هيلانة نفسها . وامَّا الذخيرة النفيسة التي في مدينة فيرتره (Florence) من اعمال ايطالية فمن هدايا الكردينال اليوناني بساريوني المتوفَّى سنة ١٤٧٢ بطرك القسطنطينيَّة الذي طار صيتهُ في مجمع فيرتره المنعقد للبحث عن رجوع الكنائس المنفصلة الى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية (١

ولا بدَّ من تنبيه القرَّاء هنا على أن ذخائر المسامير التي تُكرَّم في العالم ليست مادَّتها مجرَّد حديد المسامير المقدَّسة . وإنَّما سُبكت مسامير كثيرة يفوق عددها الثلاثين أُقحم فيها شيء من المسامير الاصليَّة الموثوق بصحَّتها

ولسنا نعرف وجود ذخيرة معتبرة من المسامير في البلاد الشرقيَّة سوى ذخيرة تكرَّم في كنيسة الارمن الكاثوليك في ديار بكر (راجع مجلة الارض المقدسة ١٥ شباط ١٨٩٧) كُتب عليها بالارمنيَّة واللاتينيَّة « مسمار الربّ . هبة الفارس سمعان دي سنت اندراوس

---

١) يسرّنا في هذا المقام ذكر المجلة (Bessarione) التي أُنشئت في رومية (١٨٩٦) تحت اسم ذلك الرجل الفائق الشهرة والعالم النحرير . وفي صُحُف رصيفتنا الغراء ابحاث تاريخيَّة ودينيَّة كلها متعلقة باحوال مشرقنا العزيز وطقوسهِ المقدسة فنحرّض قرَّاءنا الافاضل على اقتناء فوائدها

٣ كتابة الصليب

ان الانجيليين الثلاثة متى ومرقس ولوقا لم يرووا كتابة الصليب بلفظها بل اكتفوا بذكر معناها. على ان القديس يوحنا اخبرنا بمضمونها تفصيلًا وقال ان منطوقها كان « يسوع الناصري ملك اليهود » وكانت مرسومة بالعبرانية (آرامية البلاد الفلسطينية) واليونانيّة واللاتينيّة



١ كتابة الصليب عن تأليف ر. دي فلوري ٢ كتابة اسم يسوع بالخط العبراني

واعتمادًا على هذا النصّ الكريم ارتأت عدّة من العلماء ان الكتابة التي وجدتها القديسة هيلانة هي هي الكتابة التي تُحفظ اليوم برومية في كنيسة الصليب المقدّس الاورشليمي وهي على لوحة خشب طولها ١٣٠ مليمترًا وعرضها ٢٣٥ م قد قرضها السوس في عدة مواضع. ومن عجيب الامر ان حروفها اليونانيّة واللاتينية مقلوبة الجهة كالعبرانيّة. غير ان صحّة هذه الذخيرة لا نراها خالية من كلّ شكّ وقد ارتأى مثلنا العلامة de Waal في قاموس العاديّات المسيحيّة الذي جمعهُ الدكتور كَرْوس (Kraus) (٢ : ٨٧١) والله اعلم

ولمزيد الافادة رأينا ان نقتطف من تآليف العلّامة كلرمون غنّو المعنون Archæolog. researches in Palestine (١ : ٤٣٧) كتابة عبرانية اكتشفها في جوار القدس على ضريح قديم وهي تورد اسم يسوع. قال المؤلف الشهير: وفي هذا الأثر الجليل اصدق صورة لكتابة اسم السيد المسيح كما رُسم فوق الصليب المقدّس

٤ اكليل الشوك المقدس

لم تخلف لنا تآليف قدماء المؤرخين اثرًا من ذكر ذخيرة الاكليل فلا نعلم علمًا شافيًا هل اكتُشفت مع الذخائر المارّ وصفها ام لا. بيد ان سكوت هؤلاء الكتبة لا يجبرنا على القول بان القديسة هيلانة لم تبالِ بجمع مثل هذه الذخيرة النفيسة. وعلى كل حال فاول خبر اتّصل الينا عن اكليل الشوك ينتمي الى اواخر القرن الرابع. والمظنون ان الذخيرة قُسمت ووُزعت في غرّة القرن الخامس بين كنيسة القبر المقدّس في اورشليم ومعبد ملوك القسطنطينيّة. ثم ان بَلدوين الثاني اهدى القطعة المكرّمة في القسطنطينيّة الى القديس لويس التاسع ملك فرنسة وهو استقبلها باحتفال وتعظيم فوضعها سنة ١٢٣٩ في كنيسة شيّدها لحفظها وسمّاها المعبد المقدّس (S^te Chapelle). ولم تزل هناك الى ايام الثورة الافرنسيّة ثم نُقلت الى كنيسة السيدة الكاتدرائيّة. واما ذخيرة بيت المقدس فجُزِّئت الى اجزاء شتى تفرّقت في اقطار مختلفة من اوربّة. بل وذخيرة باريس ايضًا لم تدُم تامّة فانها اليوم خلوة من الشوك. ويُستنتج من الاحصاءات الحديثة ان ٢٦ كنيسة اوربيّة تُكرّم فيها ذخائر اكليل الشوك. و ١٣ كنيسة أُخرى تُحفظ فيها ذخائر البرديّ الذي ضُفر حولهُ الشوك على رأس المخلّص او ذخائر من اغصان شجيرة الشوك

وفي تاريخ ذخيرة الاكليل ابحاث جليلة لا تزال تُنشر في المجلات العلميّة نشير خصوصًا الى مقالتَي العلّامة مالي (Mély) الاولى في .Comptes-rendus de l'Acad des Inscript., Octob. 1899 p. 590 والثانية في Revue archéologique 1899 II, p. 393

والمقبول عند عامّة العلماء ان اكليل ربنا يسوع المسيح كان متألفًا اولًا من الشوك المسمّى بالنَبق في فلسطين وفي هذه البلاد بالسدر وبلغة الفرنج العلمية Zizi-phus spina-Christi وثانيًا (كما قد مرّ) من بعض اغصان البرديّ وهو نوع من الأَسَل اللين القصبة يقال لهُ بالافرنسية jonc ولا نعلم بالتدقيق اسمهُ العلمي لكثرة انواع هذا النبات في البلاد السوريّة وتشابه بعضها بالبعض

• ذخائر الاسفنجة والرمح

تُكرّم ذخائر الاسفنجة والرمح في بعض كنائس رومية وفرنسة. ومع صحة معظمها

لا يُعرف زمن اتصالها الى تلك الاماكن ولا كيفيتهُ. قيل ان الاسفنجة المقدسة اكتُشفت في اورشليم عند ما غزاها الفرس في عهد هرقل الملك فأُرسلت حالًا الى القسطنطينيّة. واخبر المؤرخون ان القديس لويس ملك فرنسة اشترى قسمًا منها

واما كونها لم تقع في ايدي القديسة هيلانة فلا عجب فيهِ لانَّ الاسفنجة كانت خاصة جلادي المسيح وكذا قُل عن الرمح الذي نفذ جنب الفادي وقلبهِ الاقدس. ومن كلام الرواة الذين اطّلعنا على اخبارهم يجوز الاستنتاج ان الرمح لم يغادر القدس حتى اواخر القرن السابع ثم انتقل الى انطاكية حيث احترمهُ الصليبيون في نحو سنة ١٠٩٧. وفي سنة ١٢٤٣ فصل الملك بلدوين الثاني المذكور رأس الرمح اي نصلهُ وارسلهُ الى القديس لويس التاسع. ويُخبر عن السلطان بايزيد انهُ اهدى قسمًا من الرمح المقدَّس الى البابا اينوكنتيوس الثامن فوُضع في كنيسة القديس بطرس زعيم الرسل. والذخيرة محفوظة هناك حتى يومنا

٦ ذخائر أُخرى

ومن الذخائر المشهورة عمود الجَلد المكرَّم في كنيسة القديسة ابراكسيدة برومية طولهُ نحو ٧٠ س. وهو من رخام اسود وفي اعلاهُ حلقة حديد شُدَّت بها يدا المخلّص عند تعذيب جسدهِ الالهي(١

واما السوط المقدَّس فهو محفوظ في دير القديس مبارك الكائن على مقربة من مدينة سوبياكو الايطاليّة. وفي ايطالية ايضًا بمدينة فيرتزه ذخيرة القصبة التي وُضعت في ايدي المخلِّص لمَّا استُهزئ بهِ في دار بيلاطس

هذا مُلخَّص اخبار الذخائر المقدَّسة وقد اهملنا ذكر الاكفان وغير ذلك ممَّا لا علاقة خاصَّة لهُ بالآلام الربانية. ومع اننا اقتصرنا وصنَّا هذا على غاية امكاننا فالمأمول انهُ سيقع في قلوب قرَّائنا المؤمنين موقع القبول والرضى لما في ذكر تلك الآثار الالهيَّة من احياء الايمان واسعار المحبة نحو ذلك الذي «اخلى ذاتهُ آخذًا صورة عبد... فوضع نفسهُ وصار يُطيع حتى الموت موت الصليب» (فيلبي ٢: ٧–٨) امين (٢

١) وفي القدس بكرم عمودان آخران رُبط بهما الرب في وقت آلامهِ

٢) احببنا ان نسرد هنا تتميمًا للفائدة اشهر التآليف التي صُنّفت في عاديَّات الآلام الربانيَّة فيكون قرَّاؤنا الافاضل على بيّنة من اهتمام علماء المغرب بالآثار المسيحيَّة الاولية قاطبةً وخصوصًا بكل ما يتعلّق بحياة ربّنا يسوع المسيح لهُ السجود:

ذيل في شرح صورة ذخائر الآلام

(١) ذخيرة الصليب في كنيسة القديس بطرس في رومية (٢/١ كبرها) وقد اخذ عنها البابارات بعض القطع — (٢) تاج الحديد في مترا. قطره ١٦ سنتيمترًا (وحرف (ح) يدل على الذخيرة) — (٣) ذخيرة الصليب يرجَّح ان بستينوس الثاني ارسلها الى البابا حنًّا الثالث (٥٦٠–٥٧٤). صورتها على ٢/١ كبرها (غلافها في ص٣٦٢) — (٤) ذخيرة الصليب في كنيسة القديس يعقوب للارمن الغريغوريين في القدس (ثلث كبرها) — (٥) ذخيرة القديسة هيلانة المرسلة الى رومية تصان في كنيسة «صليب اورشليم» (٢/١) — (٦) ثلث قطع من الصليب مرتبطة بسلك ذهبي في ارّاس (٢/١) — (٧) ذخيرة پيزة (٢/١) — (٨) من ١ كبر ذخائر الصليب (١ في كنيسة السيدة في باريس ورثها القديس لويس من بلدوين (سدس كبرها) — (٩) ” في كاتدرائية ميلانو (٢/١) — (١٠) ” في مدرسة فوجيرَرد للاباء اليسوعيين في باريس (٢/١) (١١) ” في كنيسة السيدة في باريس (٢/١) — (١٢) ” پلودين في انكلترة (٢/١) — (١٣) ” خاصة اسقف سوثورك في انكلترة (٢/١) — (١٤) ” في كُرتراي في بلجكة (٢/١) (١٥) ” في كنيسة بروكسل (٢/١) — (١٦) ” في كاتدرا مدينة تروى في فرنسة (٢/١) — (١٧) ” في بيت الحواجا ف. نجيم في بيروت (على كبرها) — (١٨) ” في كنيسة القديس تروفيم في أرل (٢/١) — (١٩) مسار ارّاس (٢/١) — (٢٠ و ٢٢) مسار تريف — (٢٣) رأسهُ (٢٠) في مدينة تول. هبة القديسة هيلانة لاسقف تريف — (٢١) قطعة مسار في كول (Colle) في ايطالية واصلهُ من رومية (٢/١) — (٢٣) اللجام المقدَّس في كرپنتراس (راجع ص ٣٦٢). أُرسل اليها في القرن الثالث عشر (٢/١) — (٢٤) مسار كنيسة الصليب في رومية. هبة القديسة هيلانة (٢/١) — (٢٥) مسار مستشفى سينَة في ايطالية (٢/١) — (٢٦) شوكة تريف. هبة القديسة هيلانة

Ch. Rohault de Fleury : *Mémoire sur les instruments de la Passion*, 1870;
Friedlieb : *Archäolog. der Leidensgesch.* 1843. وقد ترجم هذا التأليف الى الفرنسية
جمعة القس مرتين *Archéologie de la Passion*, adapté par F. Martin, 2 vol. 1895-7.
طالع ايضًا في معناه G. Martin : *La Passion au point de vue historique et archéolog.*
وفي الصليب خاصةً H. Fulda : و O. Zöckler: *Das Kreuz Christi*, etc. 1875 1886
G. A. O. Müller : *Kreuz u. Kreuzig.* و *Das Kreuz und die Kreuzigung*, 1878
A. Holder : *Inventio Sanctae Crucis* و *Chr. in ihrer Kunstentwick.* 1894.
Gosseline : و F. X. Kraus : *Beiträge zur Triers'chen Archäologie*. 1868 ثم 1889
Notice sur la Ste Couronne d'épines 1828 . هذا ما عدا المقالات المنبدة التي في المجموعات كقاموس العاديات المسيحية للعلامة مرتيني (Martigny) والدكتور كروس المار ذكرهُ وقاموس القس ڤينورو و Storia dell'arte cristiana وهو مجموع الاب غاروچي اليسوعي المشهور في ستة مجلدات ضخمة الى غير ذلك من التآليف التي وُضعت في القرون السالفة

١) اكبرها في راغوزة لم نرسمها لضيق المشرق عن استيعاب حولها

(٢/٢) – (٢٧) الاسل الحامل لاكليل الشوك وهو على شكل دائرة تامّة (٢/٢) راجع ص ٣٤٥ – (٢٨) شوكة كنيسة البندقيّة الكبرى (٢/٢) – (٢٩) شوكة نيس (٢/٢) – (٣٠) شوكة كربنتراس (٢/٢) – (٣١) أسلة فوجيرَرْد (٢/٢) – (٣٢) أسلة ارأس (٢/٢) – (٣٣) الرُّمح المقدس (راجع ص٣٤٦) – (٣٤) عمود الجَلْد (ص ٣٤٦)

الربيع في باريس

للعالم المأسوف عليهِ يوسف حبيب باخوس

نظر فيها نجلهُ نجيب افندي باخوس

بمناسبة ورود فصل الربيع الزاهر في هذه الديار احببنا ان ننشر هذه الطرفة ليظهر تباين هذا الفصل بين البلادين. وقد كتبها رحمهُ الله مدَّة اقامتهِ في باريس وضمَّنها من التخيُّلات الشعرية اللطيفة المنتظمة باطلى عبارة واحسن اسلوب ما تهتزّ لهُ معاطف الادباء وترتاح اليهِ نفوسهم طرباً

ان كان فصل الشتاء قد انقضى وخلعت ربوعنا حلَّة اللجين فما زالت تأثيراتهُ في رياضنا تحاول ردَّ الفائت وإحياءهُ بعد الممات. فنحن في شهر الزهور وما زالت باريسنا الزاهرة عبوسة مُحتجبة وراء السجوف والأغدار ورياضُها الفيحاء ذابلةُ الوجه ذاوية الخدّ جافَّة الكبد تبكي بها اعين الخضراء ولا تفترّ لها ثغورها البيضاء تلعب في اغصانها الريح الشماليَّة المتجدِّدة فتذويها وتسكن فيها حركات النضارة والانعطاف. ولولا بعض وُرَيقات تتجلَّى فوق رؤوسها كهَتزات القَطْع فوق الاسطر لما علمنا اننا في شهر الزهور والاشجار

وممَّا غبنا من بشائر الربيع ونعمَ ما غنناهُ زيارة البلابل المغرّدة في الصباح الفتنة فوق الدوحات والفنن تنبّه العين الكحيلة بطيب الوسن. وقد زارنا هذا الضيف الحسن الطلعة والعزيز المقام منذ ١٥ يوماً فقط فتشنَّفت آذاننا بصوتهِ العذب وهاجنا شَدْوهُ وَجدًا على أليفٍ فارقناهُ وحليفٍ شطَّ عنَّا مزارهُ واوطان حالت بيننا وبينها شامخات الجبال ومنخفضات الوديان وفسحات بحارٍ دونها انظار الزرقاء. وما زلنا حتى الان ننتظر زيارة خليلتنا السنونو التي تشقّ بحركة جناحيها أعالي الافلاك كحرابٍ تارةً او كشرارات كهربائيَّة ولله درّ جمال الدين حيث قال فيها واجاد:

وغريبةٍ حنَّت الى وكرٍ لها فاتت اليهِ في الزمان الْمقبلِ
فرشت جناح الآبنوس ومنقَّت بالعاج ثمَّ تفهت بالصندلِ

وممَّا يستلفتنا في زيارة هذه الاطيار انها وعلى الاخصّ الهزار الشجيّ يأتي ربوعنا

منفردًا بلا انيس ولا حليف يصل الينا واحدًا بعد الآخر. فمن البلابل يصل الذكر اولًا وهو يسبق ليختار سكنى عائلته في فصل الصيف ويهيّئ كلّ شيء قبل وصول الانثى رغبةَ راحتها من مشقَّة الطريق وتلك اخلاق افرنجيَّة جميلة اعتادت على مداراة الجنس الضعيف وبودّنا ان نعلم اذا كانت بلابل المشرق ألفتها او ذاقت حلاوتها. ثم ان بلبلنا لا يهوى الغابات والاشجار الباسقة ولا تروق لهُ غير سكنى الرياض والجنائن ويفضل في احياء باريس تلك الجنائن الاعظم افتتانًا وجمالًا ولا غرو في ذلك فانهُ موسيقي بارع تمرَّس على اغاني المثاني ونغمات العود والاوتار ومتى تهيَّأ المنزل وطاب المنهل تأتي الانثى رافلةً بثوب الدلال وتتفرَّق مساكن هذا السرب الشهي ويفرز كلّ منهُ مضاربهُ الجناحية في مضرب منفرد وتسرع الانثى بعد ذلك في تهيئة العش وحدها (وليس ذلك من الاخلاق الافرنجيَّة) وتخفيهِ بين الاغصان المنخفضة عديم الاتقان والمتانة فربَّما اصابت بذلك لانَّ حاجتها بهِ وقتيَّة. ويُوصف هذا الطائر بفرط ودادهِ لفراخه فقلَّما فارقها الَّا ليأتيها بالقوت وذلك من اطباع اصحاب الموسيقى فان شمائلهم اشدّ تأثرًا بالوداد والغرام وكثيرًا ما اغفل هذا الطائر عن منافعه الخصوصيَّة والتهى بحب فراخهِ. وفي خلال هذه المدَّة يكون الذكر مصطادًا او مُغنيًا او نائمًا يُغرّد في رقادهِ ويقطع وحشة الليل متصبيًا بنغماتهِ ويظهر انهُ يتأثر فرحًا بالحركة التي تنتقل اليه صدى هذه النغمات وكأنهُ يأتي في فصل الربيع لينشد باشعارهِ الطنَّانة تلك الليالي المقمرة بين نضارة الاغصان ونموّ النبات

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

١٨ جبيل (تتمَّة)

واول ما يستلفت النظر من آثار جبيل بُرجها فان بقاياهُ الضخمة لم تعمل فيها صروف الزمان. وهو لا يزال منتصبًا ينبئ بعظم شأن بُناته

وموقع البرج المذكور في جنوبي شرقيّ المدينة لهُ منظر خطير يأخذ بمجامع لبّ ناظرهِ. وهو مبني بحجارة كبيرة ولعلَّ ذلك الذي حمل أغلب الكتبة على ان ينسبوهُ الى

الفينيقيّين زعمًا منهم انّ قدم الابنية يُعرف بعظم حجارتها وضخم موادّها. وكانوا يزيدون على هذا تأييدًا لرأيهم انّ على البرج المذكور مسحةً من العتاقة تشهد بقدمهِ بيد انّ ذوي الخبرة من المهندسين واصحاب العاديّات أبطلوا هذا الزعم بعد الفحص المدقّق وبيّنوا ببراهين مقنعة انّ هذا البرج من عمل الصليبيّين في القرون المتوسّطة. وسندُهم في ذلك الى ما يُحدق بالبرج الكبير من الابنية الثانويّة وهي عبارة عن بروج صغرى لا سبيل الى نسبتها الى الفينيقيّين لما يدخل في تركيبها من الموادّ المأخوذة عن ابنية اقدم عهدًا شادها اليونان والرومان كاعمدة من الصوّان أُدرجت في جدران هذه البروج. وهذا الامر شائع في ابنية الصليبيّين بخلاف الامم السابقة لمهدهم. اعني انّهم كانوا اذا دخلوا بلدًا انتفعوا بخرائب آثاره القديمة كالهياكل والقصور فيتّخذون موادّها لابنيتهم الجديدة ويستغنون بذلك عن نقلها من المقاطع. فاذا ثبت انّ هذه البروج الصغرى هي للصليبيّين يصحّ القول ان البرج الكبير هو ايضًا من آثارهم لما بينهُ وبينها من الشبه في هيئة الحجارة وطريقة النحت فانّ الحجارة كليهما نحتًا متشابهًا ولهيئتها عتاقة واحدة(١ مع ما ترى بين حجارتها من الاختلاف في الكبر. وهناك ايضًا عدّة تفاصيل هندسيّة عرف بها الصليبيّون دون غيرهم منها شعار البنّائين وعلاماتهم وقطع كتابيّة يونانيّة ورومانيّة أُقحمت في البناء بلا نظام

هذا واننا لا ننكر ان الحجارة الكبيرة التي تُرى في البرج الكبير هي من نحت الاقدمين وقد بيّنّا غير مرّة لاسيما في خلال كلامنا عن دير القلعة انهم كانوا يحبّون اتخاذ موادّ ضخمة لبناياتهم. ولكن الصليبيّين نقلوا هذه الحجارة التي وجدوها فاتخذوها لشؤونهم الخاصّة

امّا آثار قدماء الجبيليّين فقليلة جدًّا. منها عدد كبير من العواميد تراها في كلّ انحاء البلدة حتى يسوغ ان ندعو جبيل مدينة العواميد. وقعر ميناها الصغير مفروش كلّهُ بهذه العواميد. وهي من الصوّان الصلب قد نُقلت من بلاد مصر بحرًا. ولا نشكّ

---

١) وهذه العتاقة ليست بدليل قاطع على قدم هذه الابنية وانّما هي لاحقة بصنف الحجارة الرمليّة التي تستعمل في الساحل. فانّ ابخرة البحر والرطوبة تعملان فيها عملًا سيّئًا فيظنّ من يراها انّها عريقة في القدم مع انها حديثة. وترى مثل ذلك في بعض بنايات بيروت التي لا يتجاوز عهدها ٢٠٠ سنة

في انها كانت داخلة في الهياكل والمعابد العديدة التي كان يتباهى بها اهل جبيل لانّ مدينتهم كما سبق لنا القول كانت مركز الديانة الفنيقيّة يحجّ اليها اهل البلاد ليتيمّنوا بزارها. وكان للبلد ايضًا اروقة واسعة قائمة على مثل هذه العمد في صدر الشوارع الكبرى كما كان شأن المدن الرومانيّة في ذلك العهد

وممّا يستحقّ الذكر ايضًا بعض قوائم ومساند كانوا يضعون فوقها التماثيل. ومنها ايضًا مذابح صغيرة وحجارة عليها كتابات لا يسعنا هنا تعدادها ووصفها واكثرها قد نُشر بالطبع في اوربّة. وقد اسعدنا الحظّ على وجود بعض منها كُتبت باليونانيّة لم تسنح لنا الفرصة حتى الآن بنشرها

فهذه غاية ما نرى الى ذكره سبيلًا عن عاديّات جُبيل الباقية في ضمن سورها. وهي لعمري تردة بالنسبة الى شأن هذه المدينة وخطرها. ولا غرو ان تحت ردمها آثارًا جليلة وكنوزًا علميّة سوف يطلعنا عليها المستقبل اذا ما تيسّر للعلماء ان يحفروا حيث شاؤوا. ومما يزيدنا ثقة بهذه الاكتشافات انّ اهل جبيل كثيرًا ما يجدون في املاكهم امتعة شتّى غالية الثمن يبيعونها خفيةً للاجانب كالتماثيل والنقود والقطع المعدنيّة الى غير ذلك ممّا لا يمكن ضبطهُ وتدوينهُ في كتب آثار بلادنا

ومن ابنية الفرنج في جبيل كنيسة مار يوحنّا المارونيّة. وهي كانت سابقًا ارحب منها اليوم ولعلّها كانت مزيّنة برواق في صدرها. وهندستها كهندسة كنائس الصليبيين ذات ثلثة اقسام مقبّبة تنتهي بحنايا. ونقوش أكلّة عمدها في قسمها الكبير تجمع بين الطرزين الهندسيين النوتي والكورنتي

وبقرب الكنيسة جرن للعماد غاية في اللطف والدقّة وهو عبارة عن قبّة كنصف كرة تستند الى اربع أقواس على شكل بيضي وترى فوق ثلاث أقواس منها اشغالًا هندسيّة وزينًا حسنة. امّا القوس الرابعة فلا تُرى لانها مستندة الى جدار الكنيسة (١

واذا ما خرجنا من سور البلدة لقينا كما في داخلها كميّة وافرة من عواميد صوّان متكسّرة. وممّا اكتُشف حديثًا في ارض تخصّ عبد الواحد افندي اساس بناء فخيم اشبه بهيكل. والاساس المذكور بالغ العمق يُدخل منهُ الى أسراب غريبة الشكل لا تُعرف غايتها. وفي المكان عينهِ وُجدت عدّة قِطع تماثيل ونقوش من الرخام الابيض

١) راجع De Vogüé : Les églises de la Terre Ste, p. 375

مدافن جبيل

ومن آثار جبيل الغريبة قبورها القديمة ومدافنها وكان موقعها خارج البلدة ليس بعيدًا عن اسوارها. الّا ان هذه المدافن المعروفة اليوم ليست مدافن الفينيقيّين وانّما هي احدث عهدًا كما ارتأى ذلك الدكتور روفيه في بحثه السابق الذكر ولعلّنا نسمع عمّا قليل ببشرى اكتشاف نواويس جبيل الفينيقيّة فينتفع بها العلماء كما انتفعوا باكتشاف نواويس صيداء.

واليوم يصعب علينا ان نُقدّر سعة مدافن جبيل وشكلها بعد ما حلّ البلدة من التقلّبات المتواترة وامتداد الرمل على قسم كبير منها. والارجح ان مكانها المخصوص بها كان في شرقي البلدة وجنوبها

وفي هذه المدافن لم يُكتشف الى يوم تاريخنا شيء من الآثار التي كان الفينيقيّون يؤثرونها لقبر موتاهم كما ترى في صيداء وغيرها من المدن الساحليّة. على انّ عدم اكتشافها ليس بسبب كافٍ للجزم بعدم وجودها كما زعم المسيو رينان (بعثة فينيقية ص ٢٠٦). واننا نرجّح مع المسيو روفيه وجود مثل هذه الآثار ولو لم يتوصّل احدٌ بعد الى اكتشافها. لكنّ جبيل لا تخلو من المغاور المخصوصة بدفن الموتى الاقدمين. وقد وجدوا ايضًا حُفرًا منقورةً في الصخر ونواويس لهذه الغاية نفسها

امّا المغاور فعلى ضربَين منها طبيعيّة وجدها الانسان فاستخدمها لدفن امواته. ومنها صناعيّة حفرها بيده لهذه الغاية. وبين المغاور الطبيعيّة ما كان عهده قديمًا جدًّا يشبه الكهوف السابقة لزمن التاريخ التي وصفها حضرة الاب زُموفن في المشرق (١: ٩٧ و ٣٥٣) احسنها المغارة التي تُشرف على مسيل ماء في لحف ضيعة قصوبة على مسافة نصف ساعة من شرقي جبيل. وهي قريبة الشبه بمغارة انطلياس (المشرق ١: ١٠٢) المرتقية الى طور الظرّان. وقد نُقر في جوانبها الداخليّة مخادع كانت تجعل فيها الموتى. وفوق احدها نقش يمثّل محارًا من الصدف الملتوي لعلّه من عهد الرومان

ومداخل هذه المدافن تنفتح عموديًّا او ببعض انحراف في وجه الصخور. ومنها كثير في الوديان المجاورة لجبيل وفي الصخور التي تطلّ على البحر. وفي بعض الآونة ترى لهذه المدافن نقشًا قليلًا ويُدخل اليها على سواء الرّجل وربّما وجدتَ لها حجرة او اكثر كانت تشتمل سابقًا على نواويس انتهك حرمتها قومٌ من طالبي الخبايا وباغي العاديّات

لم يبقوا منها الّا قطعًا محطَّمة . وفي الغالب لا تجد في هذه المدافن الّا حُفرًا كالافران منقورة في الصخر

امَّا تاريخ هذه المدافن فلا يمكن تعيينهُ لاسيما بعد ان نُزعت منها اجهزة الدفن وسُلبت امتعتهُ كما سبق ولو بقيت لاستطاع العلماء ان يستدلّوا بها على عهدها . امَّا الكتابات فلا يرى منها الَّا النزر القليل وهي كلها يونانيَّة ورومانيَّة . وعليهِ فلا يتَّفق علماء الآثار السادَّية على تعريف عهد هذه المدافن . ومنهم من زعم انها سبقت فتح الرومان للشام . وقد ارتأى رينان انَّ بعضها يرتقي الى ايام الكنعانيين

امَّا الدكتور روڤيه فانَّ رأيهُ ان هذه الكهوف كلها من عهد الرومان . وقد دعم قولهُ بحجج حسنة ترجّح رأيهُ دون ان تزيل كل الشبهات . ومن براهينهِ انَّ ما وُجد من العاديَّات في هذه المدافن منذ ٤٠ سنة لا تصحّ نسبتها الى غير الرومان . فيستنتج من ذلك انَّ المكتشفات السابقة لهذا التاريخ كانت ايضًا رومانيَّة . (نقول) انَّ هذا الدليل لا يخلو من القوَّة لكنَّهُ ليس بجازم لانَّ كثيرًا من هذه العاديَّات لا تزال مخفيَّة لدى فاتحي هذه المقابر . وكذا نقول عن البرهان الثاني حيث بيَّن الدكتور انَّ النواويس والنقود التي وُجدت في هذه الكهوف كلُّها من عهد ملوك الروم . فانَّنا نسلّم لجنابهِ بقوَّة هذه البيّنة لكنَّنا لا نجسر ان نحكم في ذلك حكمًا فصلًا ريثما يتمّ البحث المدقّق في مستودعات هذه الكهوف . كما انَّهُ لا يجوز ان نبني على هذه الاكتشافات الجزئيَّة احكامًا عموميَّة عن عادات الجبيليّين في دفن موتاهم

هذا وانَّنا نوافق المسيو روڤيه الموافقة التامَّة في نسبتهِ بعض المدافن الى الطور اليوناني الروماني وهي : ١ المدافن ذات الطبقتين الواقعة في الرملة التي تُرى جنوبي الطريق المؤدية من جبيل الى بيروت . ولكلّ قبور هذا المدفن منافذ على شكل أقواس . ٢ المنازة الواقعة على مقربة من المدافن السابق ذكرها اتَّخذها ايضًا القدماء كمقبرة وحضيضها مبلَّط بالفسيفساء . ٣ بعض كهوف أُخرى طُليت بالملاط ومنها ما هو مزيَّن بالتصاوير . فهذه بلا شكّ ليست من اعمال الفينيقيّين ولكن من المحتمل ان تكون سبقت تاريخ الميلاد بقرنٍ واحد او ازيد على مثال صفائح القبور التي وُجدت في صيداء قبل ثلاث سنين وقد نشرنا كتاباتها في مجلة العاديَّات (١ . ٤ بعض مدافن

١) راجع Promenade épigraphique à Saida, *Revue archéolog.*, 1898, 4

مقبّبة. ومن المعلوم ان الفينيقيين الاقدمين لم يستعملوا القبب في مدافنهم

نواويس جبيل

نواويس جبيل كنواويس غيرها من المدافن الفينيقيّة. لكنّهُ لم يجدوا حتى الان فيها الّا ناووساً واحداً يمثل هيئة الجسم البشري (Sarcophage anthropoïde) وهو اليوم في متحف اللوفر. والنواويس الخشبية لا اثر لها في جبيل مع كثرتها في غيرها من المدن الساحليّة. امّا النواويس من الرصاص والآجرّ والحجارة والرخام البلدي مع اطباقها المحدَّبة فهي اشبهُ شيء بنواويس بلاد فينيقيّة من حيث هيئتها ونقوشها

وقبل ختام هذا الباب لا بُدَّ ان نثبت هنا قولًا لرينان بخصوص اثقاب وشقوق مختلفة الشكل وفي الغالب مستديرة تُرى في قعر النوافذ الداخلة في قلب الارض. فظنَّ المسيو رينان انَّ العملة الذين كانوا يحفرون هذه المقابر كانوا يسبرون متانة الصخر بادواتهم قبل حفره ليعلموا ما سيلقون في شغلهم من المشقَّة

وقد ردَّ الدكتور روفيه على زعم رينان بما لا يُنقض من الحجج فبيَّن انَّ هذه الاثقاب ليست بصناعيَّة وانَّما هي صدوع طبيعيَّة كثيرًا ما تحدث في الحجارة الرمليَّة كما يُستدلُّ على ذلك حيثما شاعت هذه الحجارة. وقد رأينا كمثل هذه الشقوق في جبيل نفسها خارجًا عن المدافن

فهذا نظرٌ عموميٌّ لخَّصنا فيهِ ما يُعرف عن جبيل وآثارها. فعاديَّاتها كما ترى قليلة ولكن لا يجوز للعلماء ان ييأسوا من وجود آثار غيرها. ولقد اساء رينان لمَّا قال عن جبيل أنَّهُ لا يؤمل اكتشاف شيء جديد فيها. وكان دأب هذا الرجل ان يبحث دون تروٍّ كافٍ عن العاديات ولمَّا لم يعثر في جبيل على ما كان ينتظرهُ جزم بان هذه المدينة خلوة من المآثر القديمة

امَّا نحن فنؤثر رأي الدكتور روفيه حيث قال في خاتمة مقالته عن جبيل: « انَّنا نعتبر جبيل ومدافنها كأنَّها مجهولة تمامًا الى يومنا. ونظنّ انَّ آبارها المتخذة لدفن الموتى قد سُدَّت افواهها مع صفائح قبورها بالرمل والتراب المتحول الى هذه المدافن من التلال المجاورة فأتخذت تلك التلال كجنائن وبساتين وصارت المدافن مطمورة في قعر الارض. ولكن لنا الامل الوثيق ان سيتوصَّل عمَّا قليل اصحاب الهمَّة الى هذه القبور المكنونة في اعماق الارض. ولنا ضمين لتحقيق آمالنا في ما شاهدناهُ في مدافن صيداء التي فيها

وُجد قبر الملك تَبنيت وعــدَّة من نفائس الآثار تخلب عقول الزوَّار في متحف الاستانة العليَّة. والفضل في اكتشافها عائد الى سر مهندس البلدية بشاره افندي

ولعلَّ سعة حدود هذه المدافن البالغة في العمق كسعة المدافن التي اتُّخذت بعدئذٍ بدلًا منها. امَّا مركزها فالارجح انهُ على مسافة ١٠٠٠ او ١٥٠٠ متر من المدينة على منعطف الرُّبى المجاورة. هذا ما يظهر لنا بالحدس والتخمين وهو سبيل ننهجهُ لمن يأتي بعدنا باحثًا في عاديات جبيل » (ستأتي البقيَّة)

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٢ حلب

سبق لنا في مقالتنا عن ابن الافرنجيَّة الشاعر الحلبي (المشرق ٢: ٤٤٢) ان النهضة الادبيَّة التي عمَّت اليوم بلاد الشام كان بدؤها في مدينة حلب منذ اوائل القرن الثامن عشر. وقد احرزت لها الشهباء في ذلك العصر مجدًا آخر وهي انها سبقت كلَّ البلاد الشرقيَّة بفنّ الطباعة العربية. وكانت بعض مطبوعات لغتنا الشريفة نُشرت قبلها بالاستانة العليَّة لكنَّها كانت بحرفٍ عبراني (المشرق ٣: ١٧٦). ثم طُبعت المزامير في قزحيَّا سنة ١٦١٠ بالحرف السرياني المعروف بالكرشوني (المشرق ٣: ٢٥٤). امَّا الحروف العربيَّة فكان ظهورها لاول مرَّة في حلب في العشر الاول من القرن الثامن عشر

واصل هذه المطبعة مجهول الى اليوم فلا يُعلم من امرها شيء. ولعلَّ حروفها حُفرت وسُبكت في مدينة حلب نفسها. وهي حروف خشنة والطبع عليهـا غير مُتقن وان كان جليًّا نضرًا

وقد زعم العلامة شنورر (Schnurrer) في كتابهِ « المطبوعات العربية » (ص ٢٧٠) انَّ حروف مطبعة حلب هي حروف مدينة بكرش (Bucharest) عاصمة الفلاخ جلبها الى حلب اثناسيوس الرابع البطريرك الانطاكي. وقد خطَّأ المستشرقُ الشهير دي ساسي

رأي شنورر لما وجد من الاختلاف بين حروف كتب بكرش وحلب (١

وما لا ينكر ان اثناسيوس المذكور بعد ان ولّاهُ مدَّة حزبٌ من الروم الكرسيَّ الانطاكيّ (سنة ١٦٨٦) في حياة كيرلُّس الخامس رضي باستقالة حلب على شرط ان يُذكر اسمهُ في الصلوات العموميَّة كبطريرك ويوقع بعد اسمهِ « البطريرك الانطاكي سابقًا » (٢. ولمَّا توفّي كيرلُّس الخامس سنة ١٧٢٠ عاد الى البطريركية فساس امورها الى سنة وفاته ١٧٢٤. وكان اثناسيوس رحل سنة ١٦٩٨ الى بلاد الفلاخ ودخل على اميرها حنّا قسطنطين برنكوفان ونال منهُ ان يسعى بطبع الكتب الطقسيَّة باليونانيَّة والعربيَّة. فاجاب الامير الى ملتمسهِ وعيَّن لهُ كاهنًا كرجيًا يدعى انثيمُس ليحفر لهُ حروفًا عربية ففعل. وطبع في بكرش باليونانية والعربية كتاب الليتورجيَّات الثلاث سنة ١٧٠١ م ثم كتاب التنداق ووزَّعهما مجَّانًا على كهنة الروم

ثم عاد اثناسيوس الى حلب واهتمَّ بطبع كتب اخرى طقسية في هذه المدينة. ولا نعلم كيف توصَّل الى سكب الحروف. ولعلَّهُ استصحب معهُ الكاهن انثيمُس المذكور فحفر لهُ حروفًا جديدة او كان هو اتقن هذا الفنَّ فعلَّمهُ قومًا من الحلبيين. وما لا مشاحَّة فيهِ انَّ اثناسيوس ادرك غايتهُ فنشر بالطبع في حلب بعض الكتب الدينية ونثبت هنا قائمة ما نعرف منها حسب تأريخها وهذه المطبوعات اضحت اليوم عزيزة الوجود وفي خزانة كتبنا الشرقية اربعة منها:

١ً كتاب المزامير طبع سنة ١٧٠٦. وهو ترجمة عبد الله بن الفضل الانطاكي الكاتب الشهير وهذا الكتاب جُدّد طبعهُ في حلب سنة ١٧٠٩ و ١٧٢٥ و ١٧٣٥ (٣ وعنهُ أُخذت الطبعات التالية). امَّا الكاتبات فقد نقَّحها البطريرك اثناسيوس قبل طبعها. = ٢ً كتاب الانجيل الشريف طُبع بقطع كبير في السنة عينها ١٧٠٦ وعدد صفائحهِ ٢٨٣. وهو مزيَّن بصور الاربعة الانجيليين. ونظنّ ان هذه الترجمة هي ايضًا لابن الفضل الانطاكي نُقلت عن الاصل اليوناني. = ٣ً كتاب الدرّ المنتخب من مقالات القديس يوحنا فم الذهب نقلهُ عن اليونانية البطريرك اثناسيوس وطبعهُ سنة ١٧٠٧. ثمَّ جدَّد طبعهُ في بيروت في مطبعة المعارف الارشمندريتي غبرئيل جباره سنة ١٨٧٢. وهو يحتوي ٣٤ مقالة على موادّ ادبيَّة ودينيَّة وكتابيَّة وفي مكتبتا الشرقيَّة نسختان من الطبعة

---

١) راجع قائمة مكتبتهِ Bibl. du Baron de Sacy I, 289

٢) راجع المنار. السنة الاولى ص ٢٢٩). ومختصر تاريخ الروم الملكيين الكاثوليك (ص ٢١).

٣) راجع قائمة مطبوعات لندرة العربية Ellis : *Calal. of arab. books in the Brilish Museum* I, p. 328

الحلبية .= ٤ً كتاب النبوّات الشريف طُبع سنة ١٧٠٨ بقطع كبير عدد صفائحهِ ١٢٨ وهو على عمودين واسماء فصولهِ بحرف احمر . وهو كتاب معروف في الكنيسة اليونانيَّة (١ .= ٥ً فصول من الانجيل المقدس لكل اعياد السنة . وفي آخر كلّ فصل تفاسير نقلتْها لابن الفضل الانطاكي طُبع سنة ١٧٠٨ . وفي مكتبتنا منهُ نسخة حسنة .= ٦ً عظات اثناسيوس بطريرك اورشليم . طُبع سنة ١٧١١ وعدد هذه المواعظ ٦٦ . تليها مقالة القديس يوحنا فم الذهب في عيد الفصح ثمَّ منشور البطريرك كريسَنْثوس الى رعيَّتهِ . واثناسيوس المذكور يرجَّح انَّهُ اثناسيوس الثاني الذي جلس على الكرسي الاورشليمي نحو سنة ١١٨٠ م (٢ . اما كريسنثوس فتولّى كرسي القدس الشريف من سنة ١٧٠٧ الى ١٧٢٣ .= ٧ً البركلسيكون (او بالاحرى براكليتيكوس παρακλητικός اي المعزّي وهو من الكتب الطقسية اليونانية المعروفة . طُبع في حلب سنة ١٧١١ ثمَّ جُدّد طبعهُ في القدس قبل اربعين سنة في مطبعة القبر المقدس .= ٨ً كتاب صخرة الشك وهو كتاب ينفي بعض العقائد التي تعلّمها الكنيسة الرومانية . ترجمهُ البطريرك اثناسيوس الرابع من اليونانية وطبع في حلب سنة ١٧٢١ (٣ . وهذا الكتاب جدَّد الرومُ الاورثذكس طبعهُ مرارًا وقد فنَّدهُ الكاثوليك (راجع كتاب الكنيسة الجامعة لحضرة العالم الفاضل الخوري جرجس صغير النائب البطريركي في الاسكندريَّة)

هذا ما حصلنا عليهِ بخصوص مطبعة حلب القديمة . ولا نعلم كيف انتهت هذه الطبعة وكيف بطلت آلاتها وتضعضعت حروفها

وممَّا افادنا حضرة الخوري الاديب العالم نيقولاوس كيلون الحلبي انَّهُ اطَّلع على بعض كتب كمزامير ودرب الصليب وغير ذلك ممَّا طُبع في حلب على الحجر لا بالحروف وذلك في مطبعة بلُنْتي . قال حضرتهُ : « كان هذا استحضر مطبعة حجر فبطلت ولم اعرف تواريخ الكتب التي طُبعت فيها ومنها مشتوق امكنة تواريخها (٤ »

وقبل ان ننتقل الى ذكر المطابع التي أُنشئت في القرن الثامن عشر احببنا ان نذكر المطبعة الحلبيَّة المارونيَّة التي ازهرت في اواسط هذا القرن . وقد اعتمدنا في ايراد هذه الفوائد على رسالة انفذها الينا حضرة الاب نيقولاوس كيلون السابق ذكرهُ وهو أعرف بها من غيرهِ لأنَّهُ كان اول عامل فيها فكتب عنها ما حرفهُ :

١) راجع قائمة كتب دي ساسي (ج ١ ص ٢٨٦) ٢) راجع الشرق المسيحي للعلّامة لوكيان ج ٣ ص ٥٠٢ ٣) اعلم انَّ البطريرك اثناسيوس الرابع تقلَّب مرارًا في ايمانهِ . وقد ارسل صورة خضوعهِ للكرسي الرسولي (راجع المنار ١ : ٢٧٦ وتاريخ الروم الكاثوليك ص ٤) وللمطران جرمانوس فرحات قصيدة في مدحهِ . وممَّا يؤخذ عليهِ انهُ حضر سنة ١٧٢٢ المجمع القسطنطيني الذي فنَّد اعمالهُ عبد الله زاخر في كتاب تفنيد المجمع المنيد ٤) وفي مكتبتنا رسالة رعائية للقاصد الرسولي يوحنا اوقْرنيه طُبعت على الحجر في حلب سنة ١٨٣٦

« امَّا انشاء المطبعة المارونيَّة في حلب فكان سنة ١٨٥٧ من الحميد الاثر المطران يوسف مطر. واوَّل العَمَلة فيهـا هو الداعي. واوَّل مدير كان الخواجا سليم خطّار من بيروت اقام نحو سنة فخلَفـهُ في ادارة المطبعة المرحوم القس فرنسيس هرون الى سنة ١٨٧٠. وكان مديرها الثالث صاحب الامضاء منذ ١٨٧٠ الى ١٨٩٦ اي نحوًا من سبع وعشرين سنة. وفي سنة ١٨٩٦ سافر سيادة راعينا أيَّدهُ الله الى اوربَّة واقامني وكيلًا اسقفيًا فما عاد يمكنني إدارة المطبعة المذكورة فسُلِّمت الآن الى الخواجا سليم مطر وهو فيها كامل ومدير لها. هذا ما كان من تاريخ وجودها وموجدها ومديريها امَّا ما كان من عدد وتاريخ مطبوعاتهـا فترونهُ في اللائحة التالية ». وقد زدنا على هذه اللائحة بعض افادات وقفنا عليها في خزانة كتبنا الشرقية ورتّبناها على فصول ليسهل مراجعتها :

١ (كتُب طقسيَّة) الزبور الالهي طبع سنة ١٨٦٤ يشبه طبعة الشوير – كتاب الابركسيس اي اعمال الرسل تليها الرسائل ورؤيا مار يوحنا وذلك على النسخة المطبوعة في مدينة رومية سنة ١٧٠٣ باللغة السريانيـة والمعرَّبة بقلم السيد جرمانوس فرحات (ص ٣٩٨) طُبع سنة ١٨٦٢ ثم جُدِّد طبعهُ سنة ١٨٧٤. وفي آخرهِ صورة القديسين سركيس وباخوس ومرسلوس وابوليوس– خدمة القدّاس للموارنة

٢ (كتب روحيَّة) كتاب صلوات مقتطفة (ص٢٣٦). وهو اول كتاب طُبع في هذه المطبعة سنة ١٨٥٧. ثمَّ كُرِّر طبعهُ سنة ١٨٧٠ – التعليم المسيحي ١٨٦٢ ثم ١٨٨٢. وفي بعض طبعاتهِ رسالة تشتمل على سبعة عشر فصلًا في الواجبات الدينيَّـة – مدخل العبادة للقديس فرنسيس دي سال عرَّبهُ الاب فروماج اليسوعي طُبع سنة ١٨٥٩. وكان سبق طبعهُ في روميـة (١٧٤٤) في مطبعة انتشار الايمان بحرف جميل (صفحاتهُ ٢٥٤). وقد جُدِّد طبعهُ في مطبعتنـا الكاثوليكيَّة – كتاب رياضة شهر تشرين الثاني اسعافًا لانفس المطهر استخرجهُ من الايطاليانية القس بولس بليط الارمني (١٨٥٩) – زيارة القربان المقدَّس والطوباوية مريم البتول للخوري ارنول تعريب الاناغنوسطوس جرجس صحب السرياني الكاثوليكي (١٨٦٣) – تراتيل روحية طبع مرَّتين ١٨٦٢ و ١٨٩٠ – تأمُّلات الابا لويس الملقَّب بالجسري اليسوعي ثلاثة مجلَّدات (١٨٦٦ و ١٨٦٨ و ١٨٧١) – الصلاة العقلية (١٨٦٨) – صلاةُ مار انطونيوس (١٨٧٧) – صلوات الجوبيليوم (١٨٦٥) – رسائل رعويَّة (١٨٦٩ و ١٨٨٩)

٣ (كتب مدرسية) مبادئ القراءة (١٨٥٧ و ١٨٧٢ و ١٨٨٧) – مبـادئ القراءة السريانية ١٨٧٣ – الاجرومية (١٨٧١) – النفحة الزكية في اللغة التركية (١٨٥٩) – المفردات السنية في اللغة التركية (١٨٦٠)

٤ (كتب ادبية وشعرية) منهاج العلم (١٨٦٥) – الرواية الجلية (١٨٦٦) – الكنوز التية

(١٨٧٠) – قطف الزهور (١٨٧٢) – تدبير حسن (١٨٧٥) – قلائد اللؤلؤ المنثوم في مراثي الخوري م. مظلوم (١٨٧٨) – قانون رسم الصحة (١٨٧٤) – ديوان الفارض (١٨٨٤) – نظم اللآلي للحبر الشمالي (وهو مجموع ديوان الطيّب الذكر السيد فرنسيس الشمالي مطران حلب ١٨٩٥) – شذور الذهب لتهنئة مطران حلب (١٨٩٦)

• (كتب نظريَّة) المرآة الصفيَّة في المبادئ الطبيعة للمرحوم فرنسيس فتح الله مرَّاش (١٨٦١) – تعزية المكروب وراحة المتعوب لهُ (١٨٦٤) – دليل الحائر (١٨٦٣) – دليل الحرّيّة الانسانية (١٨٦١) – غابة الحق لفرنسيس مرَّاش (١٨٦٥) – الطبيعة في وجود الله والشريعة لهُ – الادلّة النظريّة في وحدة النفس البشريّة للقس بولس عازار (١٨٨٦)

٦ (رزنامات) رزنامة السنة حسب ترتيب كلّ من الخمس الطوائف (١٨٥٨ و ١٨٧٤) – رزنامة مطبوخ الارمن (١٨٨٠) – رزنامة اسلاميَّة (١٨٨٣)

هذا وانَّ احرف المطبعة المارونية قد تغيَّرت مرارًا فمنها الحرف المستدقّ التاعم ومنها الحرف الناصع الكبير وقد طبعت بعض كتبها بالحرف الاميركاني لا زالت في ترقٍّ متداوم بهمَّة حبرها الجليل السيد يوسف دياب الجزيل الاحترام نفعًا للوطن وفخرًا للنصرانيَّة معًا

ومنذ نحو عشرين سنة قد استجلبت الحكومة السنيَّة مطبعةً اكثر ما يُطبع فيها الاوراق الرسميَّة. وفيها تُنشر جريدة «فرات» الغرّاء.

٣ مطبعة الشوير

(ملخَّص تاريخ دير الشوير) الشوَير قرية معتبرة من مقاطعة المتن قريبة من الخنشارة فيها دير كبير للرهبان الملكيين المعروفين بالباسيليين البلديين. واسم الدير دير الطبشة مشيَّد على اسم القديس يوحنا المعمدان (١. وفي اواخر القرن السابع عشر كان يسكن هذا الدير كاهن واحد من بيت صوايا يهتمّ بخدمة بني طائفته في الشوير وبطغرين. وكان للدير كنيسة صغيرة لا تزال على هيئتها القديمة الى يومنا هذا وبجواره كانت غرفة يأوي اليها الكاهن المذكور

ثمّ حصل في تلك الاثناء انشقاق بين رهبان دير البلمند الذي على مقربة من طرابلس. وذلك انَّ فئة منهم ارادت ان تتبع البطريرك كيرلُس الخامس في خضوعه للكنيسة الرومانيَّة فنالهم لهذا السبب اضطهادات من اخوتهم الرهبان ألجأتهم الى

١) ولذلك دعي رهبان الشوير بالحناويين نسبةً الى القديس يوحنا الصابغ

الخروج من البلد. وكان في مقدَّمتهم رجلان فاضلان اصلهما من حلب يدعى احدهما جراسيموس والآخر سليمان. فدخلا على البطريرك كيرلُّس وعرضا عليهِ قانونًا رهبانيًا استخلصاهُ من قوانين الآباء الاوَّلين. فسرَّ بهِ البطريرك واثبتهُ. فانتقلا حينئذٍ الى دير الشوير (سنة ١٦٩٧ (١)) وبنيا لهما برضى الكاهن المتولي خدمتهُ غرفتين سكناها وتفرَّغا هنالك للاعمال التقويَّة. ثمَّ استدعيا من دير البلد كلَّ من رغب ان يشاركهما في عيشتهما النسكيَّة. وفي تلك الاثناء مات الكاهن المذكور فبقي الدير في يد الرهبان. وكثر بعد حين عددهم فاقتضى الامر عمارة دير اوسع. وبُنيت فيهِ كنيسة القديس نيقولاوس بنفقة الاخ نيقولاوس الصائغ الذي صار بعد ذلك رئيسًا عامًّا وهو صاحب الديوان المشهور المعروف بديوان الخوري

(تاريخ مطبعة الشوير) ومن جملة من دخلوا في دير الشوير صاحب الآثار العديدة عبد الله زاخر. ولد هذا الرجل الشهير في حلب نحو سنة ١٦٨٠ واهتدى الى الديانة الكاثوليكية صغيرًا ارشدهُ اليها الآباء اليسوعيون. ثمَّ اخذ يدافع عنها جهارًا ويصنّف في صحّتها المصنَّفات الحسنة التي تشهد لهُ بذكاء العقل وتوقّد الفهم. فسعى بهِ اعداؤهُ ونصبوا لهُ المكائد فهرب الى لبنان سنة ١٧٢٢ ونزل مدَّة في زوق ميكائيل بقرب دير الآباء اليسوعيين في عين طورا. وهناك اخذ في انشاء المطبعة المنسوبة اليهِ (٢

والشائع في اصل هذه المطبعة ان عبد الله زاخر هو منشئها ومتمّم لوازمها. قال الكاتب دي ڤلناي (de Volney) في كتاب رحلة سوريَّة ومصر (٢: ٧٧—٨٥) انَّ عبد الله المذكور كان في حداثتهِ يتعاطى فنَّ الصياغة فساعدهُ ذلك على رسم حروف الطباعة وحفرها ثم سبكها سبكًا حسنًا وحروفهُ في غاية الحسن والنضارة

---

١) وفي مختصر تاريخ الروم الملكيين الكاثوليك انَّ ذلك حدث سنة ١٧٠٠. وقد عوَّلنا نحن في روايتنا على تواريخ رهبانيَّتنا القديمة. وجاء في تاريخ لبنان للاب مرتين اليسوعي (في قسمهِ المخطوط) انَّ رهبان الشوير اقاموا مدةً طقوس كنيستهم باللغة السريانية. وفي سنة ١٧٤٧ اثبت الكرسي الرسولي قانونهم مع ترجمة طقوسهم العربيَّة وكان اول من عرَّب هذه الطقوس من اليونانية البطريرك ملاطيوس سنة ١٦٣٣. اما الرهبان الملكيون المخلّصيون فكان اول اجتماعهم للترهُّب سنة ١٦٨٥ ثمَّ بنوا دير المخلّص سنة ١٧١٥ (وفي مختصر تاريخ الروم الكاثوليك سنة ١٧٠٨). وقانونهم هو قانون القديس باسيليوس المترجم الى العربية والمطبوع في رومية (١٧٤٥)

٢) راجع مختصر تاريخ الروم الكاثوليك (ص ٤٧)

وقد جاء ما يخالف هــذه الرواية في اصل مطبعة الشوَير وذلك انَّ الرحَّالة دي لاروك (de la Roque) كتب (١ في تاريخ ٢١ كانون الاول سنة ١٧٣٥ (اي قبل دي ثلناي بنحو ٨٠ سنة) نقلًا عن احد تجار صيداء الفرنج اسمهُ توروليه (Truihilier) ما تعريبهُ: « انَّ منشي المطبعة الشوَيرية هو الاب بطرس فروماج اليسوعي صاحب التآليف الشهيرة وانَّهُ انشأ هذه المطبعة في دير عين طورا وساعدهُ على انشائها بمالهِ الخاص التاجر توروليه الســابق ذكرهُ وان الاب فروماج اخذ حروفهُ من رومية واستخدم منها قومًا من الطبَّاعين الماهرين فشرعوا في نشر الكتب. وزاد الراوي ان المطبعة كانت اولًا في دير عين طورا ثمَّ نُقلت منها لضيق المكان الى دير الشوَير »

وبين هاتين الروايتين كما ترى بَون عظيم. وعندنا ان الاب فروماج الذي كان وقتئذٍ رئيسًا عامًا على الرسالة اليسوعية في سورية جلب هــذه المطبعة من فرنسة على حساب عبد الله زاخر وانَّهُ ساعدهُ فقط على انشائها كما يظهر من بعض رسائل للاب المذكور وقفنا عليهــا. امَّا الحروف فترجَّح انَّ حافرها وسابكها هو عبد الله زاخر ولعلَّهُ استعان في سبكها بحروف رومية العربية المستعملة في ذلك الوقت في مطبعة انتشار الايمان كما يظهر بالمقابلة

امَّا الكتب التي طُبعت ولا تزال تُطبع في الشوَير فكلُّها دينية وكثير منها مخصوص بالفروض الكنسية وهي متقنة الطبع وقد افادت الطوائف الشرقيَّة فوائد جمة وساعدت على اعلاء منار الكنيسة الكاثوليكيَّة في بلاد الشام جازى الله اصحابها في الدارين

وهذه قائمة مطبوعات الشوَير التي نعرفها على ترتيب زمان تاريخها:

١ً اول كتاب طُبع في دير الشوَير هو كتاب ميزان الزمان للاب نيرنبرج اليسوعي تعريب الاب بطرس فروماج طُبع سنة ١٧٣٤. وهو الكتاب الذي جُدّد طبعهُ في مطبعتنا سنة ١٨٦٢ و ١٨٨٦ = ٢ً كتاب المزامير طُبع مرارًا (١٧٣٥ ثمَّ ١٧٣٩ ثمَّ ١٧٥٣ ثمَّ ١٧٦٤ ثمَّ ١٧٧٠ ثمَّ ١٧٨٠ ثمَّ ١٧٨٩ ثمَّ ١٨٠٩ ثم ١٨٢٠ ثمَّ ١٨٢٣ ثمَّ ١٨٤٦ ثمَّ ١٨٦٣ وقد سبق ان هذه الترجمة هي لعبد الله بن الفضل الانطاكي التي سبق الى طبعها البطريرك اثناسيوس الرابع وقد صدَّرها عبد الله زاخر بمقدَّمة = ٣ً كتاب تأمُّلات روحيَّة لايَّام الاسبوع ألَّفهُ احد الاباء الكرمليين في حلب سنة ١٧٢١م فطُبع سنة ١٧٣٦. وشواهد الكتاب المقدَّس فيهِ بالحرف الاحمر= ٤ً كتاب مرشد المسيحي للاب اليسوعي دوتريان (d'Outreman) عرَّبهُ الاب فروماج (١٧٣٨)=

---

١) راجع قائمة كتب دي ساسي ج ١ ص٤١٢

• كتاب الاقتداء بالمسيح (١٧٣٩) - ٦ً كتاب اباطيل العالم للاب ديدكس ستيلّا الفرنسيي ١٧٤٠ = ٧ً مرشد الخاطئ في سرّ التوبة والاعتراف للاب بولس سنيري اليسوعي عرّبهُ في حلب سنة ١٧٣٩ الاب فروماج (١٧٤٧ ثمَّ جدّد طبعهُ ١٧٩٤). وقد طُبع ايضاً في مطبعتنا مرارًا = ٨ً كتاب تفسير سبعة مزامير التوبة للاب بطرس ارنودى (Arnoude) اليسوعي تعريب عبد الله زاخر ١٧٥٣ = ٩ً مختصر التعليم المسيحي ١٧٥٦ (ص ٦٢) = ١٠ً كتاب اعمال الرسل والرسائل ١٧٥٩ و ١٧٧٠ و ١٧٩٢ و ١٨١٣ وقد سبق وصفهُ = ١١ً كتاب مرشد الكاهن للاب سنيري تعريب الاب فروماج (١٧٦٠) = ١٢ً الاكطويخس المشتمل على الثمانية الالحان للقيامة (١٧٦٢ و١٧٨٤) = ١٣ً ايضاح التعليم المسيحي لاحد كهنة باريس تعريب الاب فروماج (١٧٦٨) جُدّد طبعهُ عندنا - ١٤ً كتاب تأمُّلات جهنم المريعة وحماقة الخطأة النظيمة تعريب المعلّم يوسف الابوديا كن الشهير بابن جرجس الحلبي الماروني (١٧٦٩) - ١٥ً كتاب قوت النفس المشتمل على تأمّلات شهريّة في آلام سيدنا يسوع للاب فرنسيس رينالدي اليسوعي تعريب الاب ميخائيل مزراق من الرهبنة المخلّصية (١٧٧٢) = ١٦ً كتاب النبوَّات الكنائسي (١٧٧٥ ثم ١٨١٠ ثمَّ ١٨٣٣) = ١٧ً كتاب الانجيل الشريف الطاهر والمصباح المنير الزاهر مقسَّماً على مدار السنة وهو مزيَّن بصور الانجيليين الاربعة (١٧٧٦ ثمَّ ١٨١٨ ثمَّ ١٨٦١) = ١٨ً الاوروليجيون اي السواعي (١٧٨٧ و ١٨٥٢ و١٨٧٩) = ١٩ً كتاب المجمع اللبنانيّ صفحاتهُ ٥٥٨ طُبع سنة ١٧٨٨ وهذه الطبعة تختلف عن الاصل اللاتيني الذي صادق عليهِ الكرسي الرسولي = ٢٠ً كتاب قطف الازهار في علم الذمَّة والاسرار تأليف القس عمانويل شمَّاع الراهب المخلّصي بالسؤال والجواب صفحاتهُ ٣٤٢ (١٧٩٢) = ٢١ً كتاب شرح التعليم المسيحي للسيد جرمانوس آدم مطران حلب (١٨٠٢) وهذا الكتاب ابطلهُ الكرسي الرسولي لاسباب = ٢٢ً كتاب المجمع الانطاكي المنعقد بامر البطريرك اغابيوس مطر في دير القرقفة صفحاتهُ ٢٣٩ قطع رُبع. وهذا الكتاب قد امر الكرسي الرسولي باحراق نسخهِ (راجع المشرق ٢ : ٩٢٥) = ٢٣ً رسوم المجمع المقدَّس بخصوص صورة سرّ الافخارستيا بانَّها قائمة بالكلمات الربَّانية. واعلان اعتقاد اساقفة الروم الكاثوليك بهذه العقيدة الدينية (١٨١٢) = ٢٤ً كتاب التعليم المسيحي مع بعض ارشادات قطع ١٦ صفحاتهُ ١٣٢ وفي اخرهِ صورة القديس بطرس الرسول (١٨٢٥) = ٢٥ً طريقة عام لاجل البروتستانيين استخرجهُ من اللغة الايطاليانية الخوري مرتينوس ... طُبع بنفقة القاصد الرسولي ف. بيلارديل (١٨٤٣) = ٢٦ً كتاب ليتورجيا القديس يوحنَّا فم الذهب (١٨٤٣) بحرفين اسود واحمر = ٢٧ً رسائل رعائية للسيد يوحنَّا اوفرنيه القاصد الرسولي (١٨٣٤-١٨٣٦)

ولعلَّهُ قد طُبع في هذه المطبعة كتب اخرى غير المذكورة لم نتوصَّل الى معرفتها. واذا افادنا عنها القرَّاء نشرناها في ذيل نلحقهُ في مقالتنا عن المطبوعات الشرقيَّة

(ستأتي البقية)

وسيكون قبره ممجدًا (اشعيا ١١: ١٠)

قصيدة من نظم الشاعر المجيد الخوري ارسانيوس الفاخوري اقتطفناها من ديوانهِ غير المطبوع الذي هو في يد ابن جدّ عمّهِ المعلّم يوسف افندي الفاخوري. وقد انشد هذه القصيدة سنة ١٨٧٠م

يا نسيماً اتى بريّاً (١ الوَردِ   حيِّ قبرًا مكرَّمًا ذا مَجدِ
قبرَ ربٍّ مولى الموالي إلهٍ   قد تسامى جودًا ببذلٍ وودِّ
برضاهُ قد مات فوق صليبٍ   لينجّي الانام طرًّا ويَفدي
دُفن الربّ خانعًا فيهِ ثمَّتْ   قام منهُ حيًّا بعزٍّ وسعدِ
والى أخدار السماء ارتقى ذا م   المصطفى المفتدي المعيد المبدي
يا لقبرٍ قد نمَّ منهُ اريجٌ   فاق طيباً اريجَ مسكٍ وندٍّ (٢
عرَّف (٣ الناسَ عرفُهُ وهداهم   بل غدا عرفهُ الى القدس يهدي
رَندهُ (٤ قد اولى البرايا انتعاشًا   وبدا عيشها بذاك الرَّندِ
في حماهُ ما يُكسب الروح رَوْحًا   من نضورٍ وحسن شكل وورد
بلّغي يا صبا حماهُ سلامي   وانشري ما في القلب من طيّ وَجد
فاليهِ نفسي تميل دوامًا   بهيامٍ في حال قربٍ وبعدِ
وجناني الى زيارتهِ في   فرط شوقٍ مفتّرًا ما عندي
يا نسيمات الصُّبح سيري الينا   من رباهُ لا من روابي نجدِ
وبريّاك أنعشي قلب صبٍّ   ما لشوقٍ بقلبهِ من حدِّ
فبريّاكِ وحدها لجريحٍ   خيرُ طبٍّ وعيشُ ميتٍ بلحدِ
بابي قبرٌ يمنح الخلق نشرًا (٥   وبنفسي سنا ذراهُ أُفدّي
فتوارى فيهِ المسيحُ ولكن   قد تبدّى منهُ لنا نورُ رشدِ
يا لهُ في ذاك الحمى من مزارٍ   منهُ يبدو الهدى لحرٍّ وعبدِ
انهُ للعُفاة (٦ مخزن رزقٍ   ولمن يبغي من سخاهُ يجدي

---

١) الريّا الريح الطيّبة
٢) نمَّ انتشر. والاريج نفحة الطيب. والندّ العنبر
٣) عرَّف اي عطَّر
٤) الرَّند نبات طيّب الريح
٥) النّشر البعث والقيامة
٦) العفاة جمع عافٍ طالبو المعروف

منهل النعمى للنفوس ووِردٌ   للصوادي للبرّ اعذب وِردِ
منهُ للخاطئين اولى متابٍ (١   فينالون منهُ أوطد قصدِ
منهُ للتائبين أولى حياةٍ   فيحوزون منهُ اكليل مجدِ
يا رعى اللهُ ارض جاجلةٍ حيـنَ   حوَتهُ حوتْ نفائس عِقدِ
زان منها ربوَعها والمغاني   فغدت في ابهى وشاحٍ وبُردِ
منهُ نورٌ بدا انارَ الأقاصي   كلها فانثنت بهِ تستهدي
يا إلهي اني لفي كَرَبٍ من   عظم ذنبي ومن عدوّي وضدّي
فالى عونٍ منك أحتاج فأرفقْ   بهواني وآمددْ اليَّ الايدي
سيّدي مُنقذي إلهي نصيري   خالقي راحمي وعلّة سعدي
مُنيتي لذَّتي سروري حبوري   راحتي قَرقفي وشَهْدي وقَندي (٢
أصلُ فخري معين ذخري وعزّي   وسلامي وطيبُ عيشي ورغدي
إحمني تحت بَند رحمتك الحا   فق ألف الهنا بذاك البَندِ
فالى القرب من علاك اجدُّ م   السيرَ جُدْ لي بنَيل غاية جدّي
وتقبَّـل عبدًا اتاك وسامحْ   ان تُسامح فيا هناني ومجدي
وتعطَّف عليَّ وارفق بحالي   وأنلني خيرَ اللقا بعـد بُعدي
لاسمك القدّوس المبارك اجثو   كلَّ آنٍ ثُمّتْ اخصُّـك حمدي

الروماتسم او داء المفاصل

نبذة للدكتور بلتزار ملكونيان

(اسم الداء وتعريفهُ) الروماتسم لفظة يونانيَّة (ῥευματισμός) معناهـا النزل. وهو اسم قد أُطلق في الاصل على عدَّة امراض متشابهة الأعراض يريدون بهـا مجرى الاخلاط وسيلانها. وكان قدماء الاطبـاء. كبقراط وجالينوس يَعنون بالروماتسم ثلاث

١) تاب اليهِ متابًا رجع
٢) القرقف الخمرُ الطيّبة. والشهد قرص العسل. والقَند السكر المجمَّد

علّل خاصّة وهي الروماتسم والنقرس (goutte) والحُدار (arthritisme)· وبقي الاطبّاء على هذا الاختلاط الى ان ميّزوا في عهدنا كلَّ علّة عن الاخرى

وتعريف الروماتسم انهُ داء يتولّد من جراثيم او ميكروبات تنتشر في احوالٍ تلائمها او امزجةٍ قابلة لها· واكثر اعراضهِ تظهر في المفاصل· وميكروب هذا الداء لا يزال مجهولًا· وانّما وجد بعض نُطُس الاطبّاء كهويتر (Hueter) وجكّود (Jaccoud) في دم كثيرين من المصابين بالروماتسم بعض الميكروبات لم يجدوها في غيرهم. لكن اختباراتهم لم تؤدِّ بهم حتى الآن الى إفراد ميكروب الروماتسم بلا شبهة ولا ريب· ولعلَّ المجلّات الطبّيّة لا تلبث ان تبشرنا بهذا الاكتشاف المفيد

ويُحدّ النقرس انهُ داء منتشر في الدم (ليس بيكروبيّ) وتظهر أعراضهُ كالروماتسم في العضلات والمفاصل· والنقرس اثبت في الجسم من الروماتسم فلا يتنقّل مثلهُ من منصل الى آخر· ومن اوضح الدلائل على حلول النقرس زيادة الحامض البولي في الدم فيسيل منهُ ويرسب في المفاصل

امّا الحُدار فليس هو مرضًا بحصر الكلام وانّما هو حالة مزاجية تؤهّل الجسم لقَبول الروماتسم

(انواع الروماتسم) الروماتسم على ثلاثة ضروب: الروماتسم الكاذب (pseu-do-rhumatisme) والروماتسم الزمن (rh. chronique) والروماتسم الحادّ (rh. aigu)

١ فالروماتسم الكاذب ما اشتمل على اعراض الروماتسم وهو ليس بهِ وهذه الاعراض تحدث في بعض الامراض العامّة والميكروبيّة كالحمّى النفاطيّة (scarlatine) والتهاب النكفة (ابو كعيب) والحمراء (érysipèle) والزحار والتهاب الرئة والتيفوس فانّ ميكروب الروماتسم يتولّد مع هذه الامراض ويصيب المفاصل فيؤذيها الّا ان قوّتهُ ومفاعيلهُ مرتبطة بالمرض الاصلي

الروماتسم الكاذب يُعالج في الغالب بالادوية الخارجة المحلّيّة كالعلق والفصد والحجامة واللبخات والدهن بالكافور واللودانوم واستعمال الذرانيح· وافضل العلاجات الراحة التامّة فانّ المرض يزول بزمن قليل

٢ والروماتسم الزمن ينقسم الى نوعين منهُ ما كان بسيطًا ومنهُ ما كان متعقّدًا (rh. noueux)· فالبسيط عادةً يعقب الروماتسمَ الحادّ· ومن أعراضهِ انهُ يصيب المبتلى

بهِ حتَّى خفيفة واذا ضُغطت مفاصلهُ توجَّع من ضغطها كما انهُ يتألَّم عند الحركة ويُسمع لمفاصلهِ كصوت الفرقعة. وهذه الاوجاع تخمد احياناً ثمَّ تعود نوباتها عند تقلُّبات الهواء ونفح البرد. واذا طالت المدَّة على صاحب الروماتسم الزمن ثقلت حركاتهُ وفسد تركيب مفاصلهِ وصار عاجزاً مخلَّعاً

امَّا الروماتسم الزمن المعروف بالمتعقِّد فهو اثقل وطأةً يحدث للمصاب بهِ بين الاربعين والستين من عمرهِ وهو في النساء اكثر منهُ في الرجال ويصيب في الغالب الفقراء لاسيا الذين يسكنون البيوت الباردة الرطبة. واوَّل ظهورهِ في المفاصل الصغرى كمفاصل اليدين والرجلين فتتصلَّب الاصابع وتتأذَّى بالحركة ثمَّ يصيبها بعض الورم الى ان تتعقَّد (ولذلك سُمِّي هذا الروماتسم بالمتعقِّد) وتتجعَّد فيُضحي المصاب كسيحاً عاجزاً عن العمل. وربَّما انتهى هذا الداء بارتباك في القلب والصدر والرئة فيحصل للمريض بسبب ذلك على خطرة كالبول السكَّري وداء السلّ

وممَّا يلحق بالروماتسم الزمن الروماتسم العضلي لانَّ مركزهُ في العضلات والاعصاب. ويصيب خاصَّة المفاصل الكبرى

وعلاج الروماتسم الزمن غالبًا بالتوقِّي من اسبابهِ اي بمحايدة الرطوبة والبرد. ومن الادوية النافعة لدفع مضارهِ القلويَّات وصبغة اليود الداخليَّة بان يشرب المصاب بعض نُقط الى بعض غرامات منهُ. ومن الادوية قمحاتٌ من يودور البوتاسيوم او شيء من مزيج الزرنيخ. وممَّا يُستحسن في هذا الضرب من الروماتسم استعمال الوسائل الخارجيَّة كالتسميد والصبغ باليود والذرانيخ الموضوعة على المفاصل. وكذلك تنفع الاستحمامات المسخنة او الحمَّامات المعدنيَّة او الكبريتيَّة

٣ الروماتسم الحادّ هو الداء العضال الذي يغلب النوعين السابقين ألماً ويعرِّض بصاحبهِ الى ارتباكات عديدة. وقد اجَّلنا كلامنا عنهُ لنفرد لهُ مقالًا مطولًا

واعراضهُ بان يشعر المبتلى بهِ بنوع من الضنك بعد زُكام اصابهُ او التهاب في الشُعب او خناق. ومع الضنك يُصاب العليل بحمَّى تتزايد الى ان تبلغ بعد ايام قليلة ٤٠° ومع هذا ترى المريض يعرق عرقًا كثيرًا ثم لا يلبث ان يشعر بوجع في مفاصلهِ الكبرى. فاذا لم يتجاوزها الالم كان ذلك دليلًا على خفَّة الداء. امَّا اذا انتقل الى المفاصل

الصغرى فان ذلك دليلٌ يدلّ على ثقل وطأة الداء فترى المريض لا يمكنهُ ان يتحرك بل يتعبهُ مجرَّد التنفُّس

ومن خواصّ الروماتسم الحادّ سرعة تنقّلهِ من منصل الى آخر فتراهُ يضرب بعض المفاصل ثمَّ يزايلها الى غيرها ثمَّ يعود اليها بلا نظام متقرّر . وتزيد قوَّة الداء عند المساء . والاعضاء المصابة بالروماتسم تراها متورّمةً مُلتويةً تؤذيها ادنى مماسّة . والمفاصل الصغرى كالاصابع تنفصل بعضها عن بعض وتموج . امَّا الانسجة التي تعلو المفاصل الكبرى فلونها يضرب الى البياض . بخلاف انسجة المفاصل الصغرى فانَّها متورّدة اللون

ومن خواص الروماتسم الحادّ ايضًا انهُ اذا انتقل من مفصل الى آخر لا يُبقي فيهِ اثرًا كالمدَّة او غير ذلك . والحمَّى في اثنائهِ متداومة لكنَّ درجات حرارتها كثيرة الاختلاف . وعدد اختلاج النبض في الدقيقة يبلغ ٩٠ الى مئة عدًّا . امَّا عرق المريض فكثير وهو ذو رائحة قبيحة . وكان قدماء الحكماء يظنُّون ان داء الروماتسم يتلاشى بواسطة هذا العرق وانَّ هذا الَّا وهمٌ باطل . وربَّما كان الامر بعكس ما توهَّموا فيصير ارتباك اعظم بتوفُّر العرق

ومن لواحق الروماتسم ان المبلوَّ بهِ يهزل سريعًا ويسهم لونهُ . ويهبط عدد كُرَيَّات دمهِ الحمراء من اربعة ملايين ونصف في المِلمتر المكعَّب الى نحو مليونين فقط ويفقد المريض شهوة الطعام ويشعر بعطش شديد . ومع هذا فان وظائف الدماغ باقية على حالها والمريض لا يهذي بالكلام . امَّا اذا أُصيب بدماغهِ فالامر ذو بال ويُخشى على المريض من ارتباك عظيم

ومدَّة الروماتسم الحادّ تختلف كثيرًا فان كان ألمُهُ خفيفًا دام من اسبوعين الى اربعة اسابيع وان كان شديد الوطأة ربَّما طالت مدَّتهُ الى شهرَين . واذا توارى أبقى بعدهُ ضعفًا ما في المفاصل

واعلم ان الروماتسم الحادّ ينتهي دائمًا بالشفاء . ما لم يحصل في اثناء وقوعهِ او عند انتهائهِ ارتباكات أُخر واكثر هذه الارتباكات شديدة الخطر فهي تدهم القلب او الدماغ او الرئة فيدعى الروماتسم لذلك بروماتسم القلب او روماتسم الدماغ او روماتسم الرئة

والاوَّل هو الاكثر وقوعًا . قال الدكتور النطاسي ديولافوا (Dieulafoy) : « القلب

هو العضو الذي يؤثرهُ الروماتسم واذا ترل فيه لا يسهل دفعهُ عنهُ » . والفضل في تعريف هذا الداء عائد الى الطبيب الفرنسي بوليو (Bouillaud) وهو الذي بيّن جليًّا ما يوجد من العلاقة بين القلب والروماتسم وكان الاطبّاء قبلهُ لم يكادوا يعرفون من هذا الامر شيئًا فدعوا بوليو « مُشخّص روماتسم القلب » . وميكروب الداء يلصق امّا في غشاء القلب الباطني وهو الغالب فيدعى إندوكرديت(endocardite) واما في غشائهِ الخارجي فيدعى البريكرديت(péricardite) . واذا حلّ في الغشائين دُعي اندوبريكرديت(endopé-ricardite) وهو وتشنّج شديد الألم وخيم العقبى ويكون مركزهُ الخاص في مصراع القلب المعروف بالتّاجي (valvule mitrale) وكثيرًا ما يُحدث فيهِ جرحًا يصعب شفاؤهُ

امّا روماتسم الرئة فمن آثارهِ السيئة انهُ يحدث التهاب غشاء الصدر سواءٌ سال منهُ مدَّة او لا وهذا السيلان يأتي على بغتةٍ ويتوارى كذلك

امّا روماتسم الدماغي فينذر باعراض مقلقة وهو كثير الخطر وتشخيصهُ سهلٌ لانهُ يضرب الدماغ بخلاف بقيّة أصناف الروماتسم ويُرى عادةً في المريض المصاب بهذا الداء استعداد لهُ . وهو ينتج عن اسباب تؤثر في بنية الرجل كشغل العقل المفرط والهموم الزائدة وشرب المسكرات والوراثة . فيلتهب غشاء الدماغ (méningite rhumatismale) وتنهكهُ حمّى شديدة تبلغ الى ٤٠° او ٤١° وينسى المريض وجع مفاصلهِ تمامًا ويصيبهُ هذيان كما في حمّى التيفوس وتتسارع حركة نبضهِ ثم يحدث لهُ رجفان وتشنّج ولا يلبث ان يتبع ذلك السكتة ثم الموت

وفي بعض الاحيان يظهر روماتسم الدماغ بالصرع والموت الوحي . اخبر تروسو عن رجل قويّ البنية شديد القوى مثابر على شرب الخمور والمسكرات انّ دماغهُ أُصيب لثمانية عشر يومًا من ابتلائهِ بداء الروماتسم فحار بصرهُ من وقتهِ وصار يصرخ ويضج ويثب من فراشهِ حتى لم يقوَ رجلان عن منعهِ الّا بعد الجهد الجهيد ثم خمدت حركتهُ ومات . ولم يمرّ على حركاتهِ هذه كلها الّا ربع الساعة

وفي الغالب لا تكون أعراض الروماتسم الدماغي على هذه الصورة وانما يستولي على المصاب بهِ سوداء او ماليخوليا فتراهُ صامتًا واجمًا تتغلّب عليهِ الغموم والافكار الحزنة وتتراءى لهُ المرائي الفاجعة ويُخيَّل لهُ ان من يجاورهُ يريد قتلهُ . او ينتقل من الضحك الى البكاء بغتةً دون داعٍ . او يصيبهُ ارتعاش وهذيان ثم يعود الى بكمهِ الاول .

وربما تأصل فيه وابتلي بالجنون التام او تقوى عليه أعراضهُ فيموت

هذه هي اغلب الارتباكات التي تحصل في خلال الروماتسم الحادّ. امّا الاولاد فالروماتسم فيهم خفيف الوطأة وانّما يخشى عليهم ان يصاب قلبهم. فاذا حدث ذلك كان الخطر جسيماً واشتدّت اعراضهُ بسرعة غريبة

(اسباب الروماتسم الحادّ) اسبابهُ عديدة منها مزاجيّة كالحُدار وقد قلنا انّهُ يجعل الجسم قابلاً لهذه العلة. ومنها محليّة فان الروماتسم الحاد يكثر في البلاد المعتدلة الحرارة الكثيرة الرطوبة. ومنها زمنيّة كتقلّب احوال الهواء فجأةً او تمادي الرطوبة او مجرى الهواء او المطر. ومنها شخصيّة كالشغل المفرط او السكر او الضرب او سوء الهضم. امّا سببهُ العظيم فهي الجراثيم الميكروبيّة كما سبق واكثر ما يصاب بهِ الانسان بين ١٥ و ٤٠ من عمرهِ يطرأ على الرجال والنساء معاً وهو على الرجال اغلب

(علاج الروماتسم الحادّ) كان الاطبّاء قبل عهدنا بنحو عشرين سنة لا يقوون على علاج هذا الداء. وكانت ادويتهم كلها خارجيّة كالفصد المتواتر والحراريق على المفاصل أجمعها وشرب سولفات الكينا وملح الطرطير. الّا ان هذه الادوية لم تُفِد المريض الّا قليلاً. ولمّا كانت سنة ١٨٧٧ اكتشف العلامة جرمان سي (G. Sée) دواء ناجعاً لهذه العلّة وهو سليسيلات الصودا (salycilate de soude). ومن مفاعيله الحسنة انهُ يُخمد الوجع سريعاً ويُهبط درجة الحمَّى ويقصّر نوبة الداء ويمنع الارتباكات الخفية التي سبق ذكرها بشرط ان يُلتجأ اليه دون تاهل. ويزيد في مفعوله ان يعطى منهُ المريض ساعة شعوره بالوجع من ٦ غرامات الى ٨ في النهار اللهمَّ اذا كان الالم شديداً والحمى قويّة. ويكفي اقل من ذلك في النوبات الخفيفة. وكيفيّة استعماله ان يأخذ المريض منهُ غراماً كل ساعتين او يشربهُ ممزوجاً. ويُفضّل ان يُخالط بقليل من ماء فيشي او الحليب لتقبلهُ المعدة ولا تتقيأهُ. وبعض الاطباء يصفونهُ ممزوجاً ببيكربونات الصودا

وعند ما تخفّ الاوجاع يكفي ٤ او ٥ غرامات بالنهار واذا ما توارى الروماتسم يحسن بالمريض ان يداوم على هذا الدواء مدّة ١٥ يوماً لئلا ينتكس

والأطفال تقبل معدتهم السليسيلات فيُعطون منهُ غراماً في النهار اذا لم يبلغوا

السنتين من عمرهم وغرامين الى السنة الخامسة منهُ و ٣ او ٤ غ الى السنة ١٠ ثمَّ ٥ غ فوق العشر السنين

ومن المرضى مَن لا تقبل معدتهم السليسيلات لضعف مزاجهم ويصيبهم بسببها التباك معدة وطنين آذان ودوار. فهؤلاء يستعملون الادوية الآتي ذكرها. وكذلك لا يحسن وصف السليسيلات للنساء الحبالى وللمصابين بالتهاب الكلى

ومن الادوية التي يفيد استعمالها بعد السليسيلات الانتيپيرين (antipyrine) والسولول (solol) والساليپيرين (salipyrine) وبنزوات الصودا وغير ذلك. وافضلها الاول ولكن لا بدَّ من الفطنة في اتخاذهِ

وما خلا هذه الادوية يقتضي على العليل ان يتجنَّب الهواء ويقي اعضاءهُ باللُحف الدافئة ويقتصد بالمآكل مكتفيًا بالحليب وحُساء اللحم على الغالب. ويحسن بهِ ان يأخذ المسهلات لئلَّا يصيبهُ قبض

واذا انتقل المرض الى القلب فعلى الطبيب ان يستعمل الخرادل والذرانيخ الطيَّارة ويودور البوتاسيوم ونبات الكشاتبين (digitale). وفي روماتسم الدماغ يحسن العلاج بالماء البارد

وبعد زوال المرض يجب على العليل ان يقوّي جسمهُ بالمآكل المغذية والمياه المعدنية ويُقصي عنهُ كلَّ ما من شأنهِ ان ينكسهُ ثانيةً في مرضهِ كالبرد والرطوبة والمبالغة في الاشغال والتعب الزائد والهموم المفرطة. فان راحة القلب وهدوّ البال والاعتدال في التصرف من أفعل الوسائل لردّ هجمات هذا الداء. والسلام

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل رينو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل التاسع

في موت الشقي

سبق الخبر ان فاضلًا طعن نسيبًا لمَّا كان الاثنان في مدينة داوسون طعنةً خرَّ لها الثاني صريعًا يتخبط بدمهِ غير ان الطعنة لم تكن قتَّالة لان اليد التي جادت بها كانت

ترتجف من الغضب وتأثير المشارب الروحيَّة. ولهذا فمن بعد ما أُغمي على نسيب مدَّة استيقظ وهو راقد على سرير في المستشفى

وبيان ذلك ان رفقاءهُ المدنين لمَّا خرجوا من مساكنهم عند طلوع الصباح للذهاب الى اشغالهم وشاهدوا بابهُ مفتوحاً عرَّج البعض منهم فرأوهُ ملقىً تحت احدى الموائد مضرَّجاً بالدم وكان فيهِ بقيَّة من الرمق فاحتملوهُ في الحال الى المستشفى لمعالجتهِ. ومن غريب الاتفاق ان الراهبة ماري جانْ ارقدتهُ بالسرير الذي ارقدت فاضلًا فيهِ قبلًا واخذت تبذل في مداواتهِ كلَّ عناية ممكنة حتى ثابت اليهِ الحياة ولم يبقَ الَّا ان يلتئم جرحهُ

ومع ذلك كانت نظراتهُ تبوح بما يخالجهُ من الاضطراب والقلق الداخلي ولذلك لمَّا سُئل عمَّا جرى لهُ أبى ان يجاوب جواباً صريحاً لان ذكر اسم المعتدي وسبب اعتدائهِ يقضيان عليهِ بذكر اسمهِ الخاص وبيان جرائمهِ

ولا يخفاك ان الضمير المثقَّل بالمنكرات يتَّخذ الخوف في كلّ حال قريناً. فمن اجل هذا كان نسيب منزعج البال مضطرب الخاطر وقد اجتهدت الراهبة ماري جانْ في تسليتهِ فذهب اجتهادها باطلًا لان المذكور كان دائماً عبوساً مكفهرَّ الوجه لا يفتح فاه الَّا لطلب مأكول او مشروب

وفي ذات يوم شاهدتهُ الراهبة اومأ اليها احسن حالًا فاحبَّت ان تحدّثهُ في شأن نفسهِ فحوَّل عنها وجهاً وهزَّ كتفيهِ استهزاءً فذهبت عنهُ وهي حزينة جدًّا واقبلت على الصلاة من اجلهِ لعلَّ الله يُليّن قساوة قلبهِ

وبعد ان اعتنت بهِ مدَّة خمسة عشر يوماً عنايةً متواصلة متتابعة اندمل جرحهُ واستطاع النهوض من فراشهِ وغبَّ مرور ثمانية ايام خرج من المستشفى. وكان الطبيب قد صرَّح بلزوم بقائهِ بضعة ايام أُخر غير ان نسيباً كان يخاف ضياع حقوقهِ في المنجم الذهبي الذي استأجرهُ فلم يعمل بمشورة الطبيب فضلًا عن انَّهُ كان قد كرهَ الاقامة في مكان كانت رائحة التقوى الفائحة منهُ تزعجهُ. ومن ثمَّ عاد الى اشغالهِ بهمَّة وحرارة أزيد من السابق

وكان المنجم الذي استأجرهُ غنيًّا بالذهب فكان في كل يوم يجمع شذوراً كثيرة من المعدن الثمين حتى صار لديهِ ما يساوي أُلوفاً من الليرات

فأبرقت اسرّته وطار فرحاً وخيلاء من خدمة الحظ له. وكأن العدل البشري قد نسي قاتل جون اورلي الذي وجد اشخاصاً كثيرين كفاضل كان يستخدمهم لقضاء مطامعه وجرّ ما يمكنه ان يجرّه منهم من الفوائد لنفسه حتى اذا رأى انهم ما عادوا يصلحون له يتركهم وشأنهم كأنهم آلات خُلقت لخدمته يهملها متى قصّرت عن إفادته. وكان قد توفّق الى اكتشاف مناجم اخرى اوفر ذهباً من المناجم المعروفة التي استأجرها بمبلغ من الدراهم الرنّانة ووطّن النفس انه سيأخذ كل ما فيها من الذهب حتى اذا احتشدت لديه ثروة وافرة ينقطع عن الاعمال والانصاب وقلق الافكار ويقضي حياته بالراحة

لكنّ ساعة العدل الالهي كانت مزمعة ان تدقّ مسمعةً صوتها الرهيب فان نسبياً بعد حشده مقداراً عظيماً من الذهب عاد متخفياً باسمه المستعار الى مدينة واشنطون فسكنها ثم اشترى داراً كبيرة على ضفاف بحيرة اريه وزيّن قاعاتها بالصور الثمينة وشرفاتها بانواع الازهار النادرة وشبابيكها بالزجاج المختلف الألوان وكان يصرف فيها الربيع والصيف

وكان حول هذه الدار بقعة فسيحة من الارض تنحدر شيئاً فشيئاً الى البحيرة وكيفما التفت فيها يرى أصنافاً من الازهار ترسل طيب عرفها وانواعاً من الاشجار الغبياء الكثيفة الظلال وغير ذلك من المناظر المبهجة للعين وفي اقصى ذلك كله مياه البحيرة تلمع تحت نور الشمس وعلى ضفتها قارب صغير يتألّب بفعل الامواج. وفي وقت قليل كثر عدد اصدقاء نسيب ومعارفه كما هو شأن الاغنياء الذين يجتذبون الناس اليهم بوفرة ذهبهم فكان يدعوهم الى داره ويقيم لهم الولائم ويحيي ليالي الانس والطرب قاصداً من ذلك كله ان يسلّي نفسه لانه مع كل ما وصل اليه من الثروة كان دائماً كئيباً حزيناً لا يلتذ بشيء. لانّ ضميره كان مضطرباً قلقاً لا ينفكّ عن تبكيته وتأنيبه. نعم انه في ظاهر الامر كان بشوشاً فكهاً ميّالاً الى المسرّات والملاهي كسائر من هم على شاكلته ولكنه في الباطن كان بعكس ذلك معذّباً قلقاً. وهذا شأن كل انسان يطلب الخيرات الفانية بدلاً من ان يسعى وراء خير أشرف وأنبل هو وحده يستطيع ان يُشبع طمعهُ

وكان الكل يمدحون نسيباً ويثنون عليه وكثيراً ما كانوا يحكّمونه في مسائل الفصاحة والصناعة. ولعلّه لم يكن من اهل الحكم في هذه المسائل وانّما فضلهُ الوحيد هو انه كان غنياً مثرياً كما قيل:

من كان يملك درهمين تعلمت   شفتاهُ انواع الكلام فقالا
وتقدَّم الاخوانُ فاستمعوا لهُ   ورأيتهُ بين الورى مختالا
ان الدراهم في المنازل كلها   تكسو الرجال مهابةً وجمالا
فهي اللسان لمن اراد فصاحة   وهي السلاح لمن اراد قتالا

وعلى ذلك فكان القوم يتحدثون في قاعات نسيب عن آخر رواية مُثِلت وعن آخر اختراع ظهر وغير ذلك من الامور. وكانوا يطيلون في الكلام ويتجادلون ويتخاصمون غير ان القاعات كانت تفرغ شيئاً فشيئاً ويذهب ضيوفهُ واحداً بعد آخر ويبقى نسيب وحدهُ في قصرهِ المتسع الارجاء. فمن ضجرهِ كان يطلّ على الشباك لمشاهدة المناظر البهجة ثم يعود الى حجرتهِ فيأخذ من على مائدتهِ كتاباً اصفر الجلدة وخيم المضمون ويقلّبهُ مريداً بذلك ان يبعد السأم عنهُ

وكان نسيب قد حمل من بلاد ألاسكا جراثيم المرض الذي كان مزمعاً ان يقودهُ الى القبر لان البرد الشديد الذي لم يكن معتاداً لهُ قد أضرَّ بصدرهِ رغماً عن متانة بنيتهِ وهكذا جرى ايضاً لكثيرين غيرهُ من المعدنين في كلونديك. فاراد ان يستشير الاطبآء في امرهِ فقدم واشنطون واستدعى مشاهير الاطباء فسألهم عن حالهِ ولكنَّهم كتموا عنهُ حقيقة المرض ووعدوهُ بانهم يقدرون على شفائهِ اذا بقي تحت مناظرتهم في واشنطون. فاخذوا يعالجونهُ معالجة تخمد اوجاعهُ دون ان تحسّن صحّتهُ

وفي نحو منتصف الخريف بعث الى جميع معارفهِ واصدقائهِ يسألهم ان يأتوا لزيارتهِ في قصرهِ الكائن على ضفاف بحيرة اريه حيث عزم ان يقضي هناك فصل الشتاء. وكان الاطبآء قد افهموهُ بنوع غير صريح ان السفر يؤذيهِ غير ان نسيباً ابى ان يفهم بل توهَّم ان الإقامة بجانب البحيرة تؤول الى شفائهِ

وبناء على ذلك سافر نسيب الى حيث اراد وما كاد يصل الى المحطة حتى شاهد عدداً من الاصدقاء ينتظرونهُ هناك قياماً بواجب وداعهِ وشكراً لتلطفهِ بدعوتهم الى زيارتهِ

ثمَّ انهُ ركب في حجرة مخصوصة من القطار فسار ينهب الارض بسرعة البرق وكان قد مضى عليهِ نحو خمسة عشر يوماً يشعر فيها ببعض الانحراف فظن انهُ مصاب بالانفلونزا لان اصاباتها كانت كثيرة في تلك الايام ولهذا استصحب احسن الادوية المقوّية آملًا انها تؤول الى شفائهِ بمساعدة الهواء النقي

ولمَّا وقف القطار عند ضفاف بحيرة اريه كان نسيب قد ترايد ضعفًا وهزالًا واصبح لا لا يقوى على المشي الَّا بكل جهد ومشقَّة. وكانت هناك احدى العربات قائمةً بانتظاره فركب فيها وسارت به الخيل تنهب الارض حتى اوصلتهُ الى قصره. فخفَّ الخدم لاستقباله بغاية ما يمكن من الحفاوة وبعد ان تناول قليلًا من الطعام اضطرَّته الحال ان يرقد في فراشه فقلق الخدم عليه وبادروا لاستدعاء طبيب فاتى وتسمَّع الى حركة الصدر فلمَّا خرج من عند المريض قال: «ان العطب اصاب الصدر كلهُ وانهُ لا يعيش غير ساعات معدودة لان مشقَّة السفر أجهزت عليه »

وكان كما قال لانهُ لمَّا دخل الليل دخل المريض في النزع ولم تمضِ غير بضع دقائق حتى فارق الحياة بين خدمه دون ان يكون هناك صديق يغمض عينيه ولا كاهن يسمع اعترافهُ ويحلّهُ من ذنوبه. فارقها وهو حزين مغموم دون ان يغني عنهُ ما حشدهُ من الغنى الطائل والاموال الجزيلة. أجل ان عدل الله تعالى لا يقتر في معاقبة المجرم على جريمته الى ساعة ينزلها عليه بل يرتضي باقلّ من ذلك فيموت الغني المترفه في وسط غناهُ تعيسًا شقيًا لانهُ يكون قد استوفى لذائذهُ في حياته. نعم يقام لهُ ضريح عظيم يضمّ رفاته ويكون في ظاهره جاميًا لاسباب الفخامة غير ان داخلهُ مملوء فسادًا

امَّا النفس التي بها كان يتحرك ذاك الجسد فلا يدري البشر ما حلَّ بها لانَّ ذلك من الاسرار التي يحتفظها الله لنفسه. ولكن أليس هناك موجب للخوف والخشية وتنبه الذين يسلكون هذا النهج نفسهُ الاحتراز لانهم يسيرون فوق هاوية فاغرة فاها لابتلاعهم

الفصل العاشر

في مآثر أولريك الفقيد وذكره الطيب

فلنصرفنَّ النظر عن هذا المنظر المكدّر عائدين الى جزيرة كلفلند فنقول: لمَّا اطّلع اندرسون وهاريس وفاضل على مضمون الورقة التي وجدوها على صدر أولريك بعد وفاته أثَّر ذلك فيهم ايَّ تأثير وعلموا ان هذا الولد البارَّ ذهب ضحيَّةً عن ودادهِ الخالص لهم. فقضوا بضع ساعات عند فراشه يتأمَّلون بمنظره الملكي ويذرفون الدموع على فقده. ثمَّ وضعوهُ في تابوته بكل إكرام ونقلوهُ الى قبر حفروهُ بجوار كوخهم فاودعوهُ اللحد وقلبهم يتلظّى اسفًا وحزنًا. ثمَّ نصبوا فوقهُ لوحين من الخشب وسمَّروهما بهيئة

صليب رمزاً الى ايمان فقيدهم ورجائهِ ومحبتهِ. اما هاريس فانَّهُ حفر على الخشب بمدية معهُ اسمَ أولريك الميت العزيز الذي يبكيهِ وحفر تحتهُ الحروف الابتدائية من اسمهِ الخاص كأنهُ يشير بذلك الى رغبتهِ في الاتحاد بمن قد طالما اضطهدهُ في الماضي

وبعد ان نظر الثلاثة الى قبر فقيدهم نظرة الوداع عادوا الى كوخهم واجمين ساكتين فلمَّا وصلوا اليهِ تركوا كل آثار اولريك في أماكنها دون ان يرفعوا منها شيئاً واخذوا صورة العذراء التي خلَّفها لهم فعلَّقوها في الجدار واخذ فاضل بعض أوراق يابسة من ورق الشجر وصاغ إطاراً حول الصورة ثم جلس الثلاثة بقرب المدخنة وهم ينظرون الى اللهيب المتصاعد منها الى الجو صافياً ومنيراً

وكان هاريس اول من قطع عقد صَمتهم قائلاً: ما أشبه هذه النيران المتصاعدة بنفس فقيدنا العزيز. أما كانت قلوبنا تلتهب بحضورهِ كما تدفأ ايدينا الآن بالقرب من هذه النار؟. أو ليس هو الذي كان السبب في تغيير أحوالي؟

ثم أفاض هاريس في الكلام على حسن سيرة أولريك وما كان متزيِّناً بهِ من الفضيلة قال: «اني وبَّختهُ عدَّة مرَّات على اكرام القديسين قائلاً لهُ ان ذلك عبادة اصنامية ممقوتة اخترعها البابويون. والآن أشعر من نفسي اني لا استطيع ألَّا ان اطلب معونة هذا الذي غادرنا نبكي على فقدهِ. ولكن لا ادري لماذا لا يجوز الالتجاء الى اولياء الله كما يلتجئ الناس الى ذوي القدرة واصحاب النفوذ. أما كنتُ انا نفسي مع شدَّة اضطهادي لهُ اتوسَّل بهِ اليك ايها القبطان فهل كان في ذلك شيء يقلّل من سلطتك؟ كلاَّ بل اني كنتُ أُسرّ بما يطلبهُ مني لاني كنت اعلم انهُ لا يعظّم الانسان الَّا بقدر ما يظهر من التنازل والانعطاف. واماَّ الذي يريد ان ينفرد بالامر ويقبل بنفسهِ كلّ طلب وسؤال - فانهُ يُعدّ متكبراً ظالماً»

فقال فاضل: «انما نحن الكاثوليك لا نعبد القديسين اصلاً كما يتهمنا البعض بذلك بل اننا اذا قدَّمنا لهم اكراماً نعرف كيف نصون الحقوق الواجبة علينا لله تعالى. لان العبادة انما هي مخصوصة بهِ وحدهُ دون سواه واماَّ القديسون فاننا نكرّمهم ونشرّفهم لا غير ضمن حدودٍ محصورة والاحرى ان يقال اننا نعظم الله فيهم ولكن هيهات ان ننزلهم منزلة ذاك الوجود الغير المتناهي الذي وحدهُ تجب لهُ العبادة. وكل المدائح التي نقدّمها لهم تصعد رأساً الى عرش العلي القابض على كل شيء.»

فقال هاريس واندرسون: ان كلّ ما تقولهُ هو الصواب بعينهِ فكيف يمكن ان يغضب الله من اكرام اوليائهِ وقديسيهِ . نعم اننا لم نكن نرى ذلك قبلًا لان التربية والتعاليم التي تشرّبناها من صغر قد أعمت بصائرنا امّا اليوم فقد انفتحت عقولنا لقبول النور

امّا فاضل فاجاب قائلًا: «اذا كان لا مانع يمنع من اكرام القديسين فبحجّة اولى ينبغي ان نكرّم اكرامًا خاصًا تلك التي استحقت بفضائلها الباهرة ان تكون امًّا للمخلّص . ومع ذلك فاننا لا نعبدها عبادة كما يتهمنا البعض» . قال هذا وتبسّم ابتسامًا لطيفًا يشير الى ما كان يتوهّمهُ هاريس سابقًا

قال هاريس: «ان أولئك قد علّمنا بمثلهِ وجوب اكرام العذراء . ولو ان هذه الصورة الصفراء ما كانت سوى تركة منهُ لوجب علينا اكرامها لهذا السبب وحدهُ فكيف وهي صورة ام الله »

قال اندرسون: ان اوهامنا السابقة بدأت تسقط وتتبدّد واحدًا بعد آخر واذا كانت الديانة التي ربينا فيها غير صادقة في هذا أتصدق يا ترى في ما بقي من عقائدها . ان فضائل أولئك قد حملتني على الريب في صحّة ديانتي وادخلت النور على ذهني . ولا بُدّ ان يكون التعليم الذي ينشأ منهُ قديسون قديسًا»

قال هاريس: «وانا ايضًا ارتأي مثلك . نعم اننا نرى عندنا رجالًا ذوي أدب مزيّنين بصفات حسنة لكن اين هذه الاخلاق الراضية والآداب البشريّة من القداسة والكمال الذي رأينا مثالهُ في فقيدنا اولئك البارّ . فهيهات ان نجد مثل هذا البرّ ومثل هذه الغيرة المحرقة على خلاص النفوس »

قال فاضل: « ولا تظنّا ايها الصديقان انّ هذا نادر في ديانتنا . أما رأيتم راهبات المحبة كيف يسهرنَ ليلَ نهار معتنيات بالمريض . فما الذي يحملهنَّ على ذلك وما الذي يرجونهُ من المكافأة في حين ان المريض لا يكون قريبًا لهنَّ ولا صديقًا بل هو شخصٌ مجهول يأتينَ بهِ في الغالب من الشوارع ويقبلنَ على العناية بهِ من باب الشفقة وقد يكون في المريض قروح وجراح يخيف منظرها ومع ذلك يهتممن بتنظيفها وغسلها ومداواتها

« وكثيرًا ما تكون هؤلاء الراهبات من عيال شريفة ما بين اهل الدنيا فيتركنَ الغنى والجاه والكرامة التي يعدهنَّ بها العالم وينقطعنَ لهذه الخدمة الشاقّة . ولقد زرتُ

مستشفياتهن مرةً في بيروت وحضرت عمليةً أُجريت فيه لابن عمٍ لي وهناك شاهدت ما أُخبرك عنهُ ورأيت انهنَّ يعملنَ كلَّ هذه الاعمال دون انتظار جزاء او مكافأة عليها من احد. لكن التعزية الكبرى لهنَّ راحة الضمير واعتقادهنَّ انهنَّ يصنعنَ ما يصنعنهُ مرضاةً لله تعالى. ولقد اخبرتني الامّ جيلاس مرةً انها كانت تأوي الى مضجعها وليس بين يديها فلس واحد لتشتري به في الغد قوتاً للايتام الذين آوتهم ولكنها كانت قويَّة الاتكال على العناية الالهية التي لم تكن تخيّب لها املاً بل تقيّض لها دائماً من ارباب الخير قوماً أفاضل يبسطون لها يد المساعدة

فقال اندرسون وهاريس: « اننا كثيراً ما شاهدنا هؤلاء الراهبات في أسفارنا ولكنَّنا لم نكن نعلم منزلة منفعتهنَّ في الهيأة البشريَّة. فشكراً لك على ما افهمتنا اياهُ »

وفي السهرات التابعة جرى ذكر الحضور الحقيقي في القربان المقدس فقال فاضل: « ان البروتستاني يقدر ان يعتقد حضور الله حقيقةً تحت اشكال الخبز. ومع كوني لست عالماً لا ارى ان هذا الامر المعجز يمتنع على قدرة الله. لان الله نفسهُ الذي صار انساناً هو اعلمنا بذلك في انجيله المقدس حيث ورد انهُ اخذ خبزاً وبارك وكسر وقال: «هذا هو جسدي» ثم اخذ كأساً وقال: «هذه هي كأس دمي» فهل يليق تفسير هذا الكلام الّا بالمعنى الظاهر من اللفظ »

ثم انهم اندفعوا في الحديث على شؤون أُخرى كاثوليكية اوَّلها الاعتراف فقال فاضل: « ان السيد المسيح يقول لرسله وفي اشخاصهم لكل الاكليروس خلفائهم «كل ما حللتموهُ على الارض يكون محلولًا في السماء »

فاجاب هاريس قائلاً: « ان هذا تعلُّم معزٍ وخير من كل تعليم آخر يبقي تبعة الهفوات وثقلها على ضمير صاحبها. أما ان الاجدر بالانسان ان يقرَّ بجرائمه لمن يعرف انهُ خادم الله وهكذا يلقي عنهُ حمل اوزاره متخلّصاً من لذع الضمير ومناخسه

وبعد ان اتمّوا الحديث في الامور الدينية التي أتى فاضل بأدلة مقنعة على صحَّتها انتقلوا الى الكلام على حالة الجوّ فقال اندرسون: اني أخشى من ان يصيبنا في المستقبل ما لا نقدر على التخلُّص منهُ فها قد قرب فصل الشتاء. وقرس البرد وعمّا قريب يقع الثلج وليس عندنا مؤونة تكفينا. فكيف تتيسَّر لنا المعيشة بما ترى في هذه الجزيرة. وهل يقوى كوخنا على مقاومة الرياح الشديدة التي اخذت تهبّ من ناحية الشمال

وبينا كانوا يخوضون في هـذا الحديث كانت ريحٌ شديدة تعصف في الجزيرة. ثمّ اخذت تتوى وتزيد شدّةً حتى انها كانت تتلاعب بذاك الكوخ الحقير الذى ابتناه الغرقى بعد نجاتهم فوقف الثلاثة اندرسون وهاريس وفاضل ينظرون بقلق وارتياع من النافذة الزجاجيَّة التي كانوا قد صنعوها في كوخهم ماذا عسى ان يحلّ بهم. وكان البحر وقتئذٍ هائجًا والامواج متلاطمةً وكان وميض البرق حينًا بعد آخر يلمع كلمح البصر فتبين الامواج قائمة كالجبال ثم تتكسَّر على الشواطئ. فهالهم هذا المنظر وزادهم قلقًا ووهمًا في امر مستقبلهم. وفيما كانت هذه الافكار المقلقة تتنازعهم. اذ سمع فاضل في اثناء صرصرة الريح صفيرًا عن بُعدٍ كأنهُ صوت صفير البواخر فصرخ من ساعتهِ: ربي هل قدمت باخرة تنجينا من هذا المنفى (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

PERPÉTUELLE ORTHODOXIE DES MARONITES

présentée au congrès archéologique de Rome
par S. G. Mr J. Debs Arch. Maronite de Beyrouth

احتجاج في سلامة ايمان الموارنة للسيد الجليل المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت

أتحفنا سيادة العلامــة المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت على الموارنة بكراسة افرنسيَّة العبارة تحت العنوان السابق ذكرهُ قدَّمها لمؤتمر الآثار الكنسية المنعقد في رومية اثناء الشهر الحالي وقال في مقدمتها انهُ لمَّا كان بعض الكتبة من الحدثين ما زالوا يتهمون الموارنة بالسقوط في ضلال الهرطقة متابعةً لأقوال سعيد بن بطريق بطريرك الملكيين الاسكندري الذي وضحت اغلاطهُ دعاهُ ذلك الى تقديم الاحتجاج المذكور لمجمع الآثار الكنسيَّة حتى يتنبَّه بعد الان من يريد الكتابة في ايمان الموارنة الى مطالعة التآليف التي صنَّفها علماء الموارنة وغيرهم من رُوَّام الحقيقة في هذا الشأن وان يمعنوا النظر في حججهم وادلّتهم ويفنّدوها قبل ان يعزوا لطائفة تفتخر بدوام اتحادها مع الكنيسة الرومانيَّة وصمة عارٍ لا ترضاها

ويلي المقدَّمة خمسة فصول فالفصل الاول يتضمَّن ترجمة القديس مارون نقلًا عن تاودوريطوس المؤرخ اسقف قورش مع نصّ رسالة البـابا بنديكتوس الرابع عشر الى البطريرك كيرلُس ثاناس في هذا الخصوص وفيها يُعلن قداسة القديس مارون

والفصل الثاني يشتمل على تراجم تلامذة القديس مارون وغيرتهم على الايمان الكاثوليكي واستشهاد ٣٥٠ منهم في سبيل الايمان ورسالتهم الى البابا هرمزدا مع جواب البابا لهم

الفصل الثالث في اصل القديس يوحنا مارون وغيرته على الايمان الكاثوليكي واقامته اسقفاً على البترون وانتخاب الكاثوليك له بطريركاً عليهم بعد وفاة ثاوفانوس وتآليفه ولاسيا عقيدة الايمان ومخالفتها لتعاليم القائلين بالمشيئة الواحدة واثبات قداسته بشهادات عديدة اخصها كلام الاحبار الرومانيين

والفصل الرابع يثبت ان اصل الموارنة نقي من وصمة عيب الهرطقة بشهادات الاحبار الاعظمين وكادلة الكنيسة الرومانية وقصاد الكرسي الرسولي وعدد من المؤرخين...الخ

واما الفصل الخامس فيتضمن رد بعض الاعتراضات المتوجهة على الموارنة مع إلحاقها بترجمة رجوع المثلث الرحمة السيد اقليمس يوسف عن رأيه في خصوص الموارنة

وختم كل ذلك بانهُ يتوقع من العلماء الذين يريدون ان يتكلموا عن تاريخ الطائفة المارونية ان يتروَّوا في ما عند الموارنة من الادلة والحجج ويفندوها قبل ان يلطخوهم بوصمة عار الهرطقة لانهُ لا يخفى ان سلامة الايمان ودوام الاتحاد برومية هو امر عزيز على قلب كل ماروني حتى انهُ يحسبهُ اعظم فخر لهُ فليس من اللائق ان يُسلب دون حقّ هذا الميراث الذي خلّفهُ لهُ اجدادهُ. وقد قدّم سيادتهُ خمسمائة نسخة من هذه الكراسة مع جملة نسخ أخرى من ترجمة كتابهِ دوح الردود للافرنسية الى أعضاء المجمع المشار اليه. فنحن نقدم للسيد العلامة المشار اليه واجب الشكر على هذه الهدية النفيسة التي سيحلّها العلماء. ولا شكّ محلّها اللائق من الاجلال ونسأل لسيادته عافية ناضرة حتى يتمكّن من اتمام تآليفهِ العلمية المعتبرة لخير الكثلكة والوطن المعلم ر. الشرتوني

كتاب القلادة الدرّية في شرح الوصايا الالهية

للسيد ثاوفيلوس انطون قندلفت مطران طرابلس والنائب البطريركي على السريان في بيروت
(صفحاتهُ ٢٨٨ بقطع ١٢)

لم ينسَ السوريون عموماً واهل بيروت خصوصاً ما اورثهُ في القلوب من الوَجد والاسف ذلك السيد الفضال الذي استأثرت بهِ رحمة الله منذ سنة ونصف نعني بهِ ذلك

الحبر الجليل البحر المطران ثاوفيلوس تندلفت الطيّب الذكر. على انَّ ضريحهُ لم يكن ليضمَّ مآثرهُ العديدة الدينيَّة والادبيَّة التي زيَّن بها كنيسة الله نخصّ منها بالذكر والشكر كتاب عقود الجمان في شرح قانون الايمان في ثلاثة مجلدات. بيد ان تركة الفقيد الاثير هي واسعة خطيرة احبَّ شقيقهُ الكريم السيد العلّامة باسيل تندلفت مطران يافا شرفًا على السريان. ان يتحف بها كلَّ مرشدي النفوس بل جميع المؤمنين الذين تهمُّهم الابحاث الدينيَّة. وهذا التأليف الجديد هو عبارة عن ٣٩ موعظة في وصايا الله العشر ضمَّنها صاحبها برَّد الله ضريحهُ خلاصة التعاليم اللاهوتية في معظم الواجبات المسيحيَّة. وذلك على طريقة قريبة المنال بليغة المقال مع ما فيها من المعاني الرائعة والادلَّة اللامعة. وفي صدر الكتاب رسم مؤلفه المفضال مع ترجمة حياته المبرورة. فنحضُّ دعاة الدين ولفيف المؤمنين ان يستهدوا بهذا النار ويذكروا بالجميل مخلّف هذه الآثار ويطلبوا له جزيل الثواب في مقرّ الابرار .

شذرات

بتوليَّة القديس يوسف ليست بتوليَّة القديس يوسف خطيب العذراء الطاهرة من عقائد الايمان وانَّما الكنيسة الكاثوليكيَّة تعتبر هذه القضيَّة كاحدى المعتقدات الثانويَّة التي لا يشك فيها المؤمنون غربًا كان او شرقًا. وعليه فقد اخذنا العجب ممّا كتبهُ المنار (ع ٢٧ من سنته الثانية) في اثناء كلامه عن عيد البشارة حيث قال (ص ٤٢٢): «ان يوسف كان اولًا مشتركًا بزيجة نقيَّة وولد بنين ثمَّ انحلَّ عنهُ رباط الزيجة بوفاة امرأته». ولنا لردّ زعم المنار عدَّة حجج: (اولًا) إجماع الكنيسة الكاثوليكيَّة في عهدنا في كلّ المعمور على ما يخالف رأسًا قول المنار. واللاهوتيُّون يتفقون على صدق القضايا التي يسلم بصحَّتها جمهور المؤمنين. (ثانيًا) رتبة القديس يوسف وشرف العذراء مريم كانا يستدعيان ذلك ليكون بين مريم البتول وخطيبها البتول تناسب في الجسد كما كان في النفس. (ثالثًا) حبُّ المسيح للبتولية فانَّهُ اختار امًّا بتولًا واصطفى لهُ صابئًا بتولًا يوحنا المعمدان. واحبَّ تلميذًا بتولًا يوحنا الحبيب. أفما كان يليق به ان يختار لهُ ابًا بالذخيرة يكون ايضًا بتولًا. ولعلَّ القديس متّى نعت يوسف «بالبارّ» دلالة على بتوليته وقداسته العظمى معًا. (رابعًا) ولنا في بتوليَّة القديس يوسف شواهد لامعة

في الآباء الاقدمين. قال القديس هيرونيموس في ردّهِ على الاراطيقي هلفيديوس: «أتنكر بتوليَّة العذراء. امَّا انا فادَّعي فضلًا عن بتولية مريم بتوليَّة يوسف ليولد المسيح البتول من يوسف ومريم البتولين». وقال القديس اوغسطينوس (والنار قد صادق على قداسة هذا القديس في ردّهِ على الحجة) في عظتهِ الـ ٢٤ يوم ميلاد الربّ: «قد ولد المسيح قوة الملائكة من مريم ويوسف المتشابهين في البتولية». وقد قال مثل هذا كثيرون من ملافنة الكنيسة كالقديس توما اللاهوتي والقديس بطرس داميانوس وتاوفيلاكتوس. (خامسًا) واذا أورد النار علينا بعض شواهد من آباء الكنيسة اليونانية ومن كتاب البنديكستاريون فنجيبهُ اننا قد حللنا هذا المشكل في المشرق (٢ : ٥٤١) فليهِ بالمراجعة وتريد على قولنا ان اول مؤرخي الكنيسة هجيسيوس روى ان الذين يدعوهم الانجيل باخوة المسيح كانوا اولادًا لحانا اخي القديس يوسف. والسلام

نصرانيَّة ابن المقفَّع كنَّا ذكرنا في ذيل الجزء الرابع من مجاني الادب (ص ٣٠٨) انَّ ابن المقفَّع الكاتب الشهير كان نصرانيًّا وكان استنادنا في هذا القول الى رواية بعض المستشرقين الأثبات الذين طالعنا تآليفهم قبل ١٧ سنة. لكنَّنا سهونا اذ ذاك عن تدوين اسم الكتاب ومؤلفهِ ولعلَّ ذلك ورد في احدى مقالات المجلات العلميَّة. ومهما كان من امر القائل فانَّنا نرى لهذا القول سندًا في ما ذكرهُ عن ابن المقفع الكتبة المسلمون كابن خلكان وابن النديم صاحب الفهرست. فانهم يتفقون على انَّ ابن المقفع كان يدين بالمجوسيَّة قبل اسلامهِ. والمجوسية عندهم كالمانويَّة (راجع كتاب الملل والنحل ص ١٧٩ طبعة لندرة). والكلّ يعلمون انَّ المانويَّة شيعة نصرانيَّة فامكن اذن الكاتب الاجنبي ان يدعو ابن المقفع نصرانيًّا. وزد على ذلك ان معاصري هذا الرجل الشهير كانوا يعدُّونهُ كزنديق حتى بعد اسلامهِ وزعموا أنَّهُ قُتل لزندقتهِ ويؤيد ذلك انك لا ترى في مقدَّمة كتبهِ ما يُشعر باسلامهِ

حلّ المسئلة الرياضية هذه اسماء الذين حلُّوا المسئلة الرياضية حسب تأريخ ورود الحلّ: تلامذة مدرستنا الادباء صبري فرح (وعنهُ اخذنا تفاصيل الحلّين الحسابي والجبري) وجرجس كتافاكو وفيليب ابي شاكر والاخ مبارك المتيني. ثم حضرة الاب الفاضل والرياضي البارع الخوري ج. رزق مرهج احد اساتذة مدرسة عين طورا الزهراء. ثم الاديب بطرس انطون حلاق تلميذ مدرسة دير المخلص الرعويَّة في القدس

الشريف . ثم حضرة الخوري انطون رومانوس احد اساتذة مدرسة القديس يوحنا مارون

الحل الحسابي

اذا فرضنا ان ما لي ٦/٩ يكون ما عليَّ ٧/٩ والباقي عندي ٢/٩ . اما مجموع ما عليَّ وما لي فهو ١٣٥٠ فرنكًا فاذًا ٦/٩ + ٧/٩ = ١٣٥٠ او ١٦/٩ = ١٣٥٠

اذا قسمنا ١٣٥٠ على ١٦/٩ نحصل على ما لي:

١٦/٩ : ١٣٥٠ = ١٣٥٠/١٦ × ٩ = ٧٥٩٬٣٧٥ فرنكًا

فيكون اذًا ما عليَّ ١٣٥٠ − ٧٥٩٬٣٧٥ = ٥٩٠٬٦٢٥ فرنكًا

فالجواب اذًا : ما لي ٧٥٩٬٣٧٥ فرنكًا
ما عليَّ ٥٩٠٬٦٢٥ فرنكًا

الحلّ الجبري

ما لي : ك ك + ل = ١٣٥٠ — ما عليَّ : ل ك − ل = ٢ك/٩
ل = ١٣٥٠ − ك — ك − (١٣٥٠ − ك) = ٢ك/٩
ك − ١٣٥٠ + ك = ٢ك/٩ — ٢ ك − ١٣٥٠ = ٢ك/٩
١٨ ك − ١٢١٥٠ = ٢ ك — ١٨ ك − ٢ ك = ١٢١٥٠
١٦ ك = ١٢١٥٠ . ك = ١٢١٥٠/١٦ — ك = ٧٥٩٬٣٧٥ فرنكًا
ل = ١٣٥٠ − ٧٥٩٬٣٧٥ = ٥٩٠٬٦٢٥ فرنكًا

فالجواب اذًا : ما لي : ٧٥٩٬٣٣٥ فرنكًا وما عليَّ : ٥٩٠٬٦٢٥ فرنكًا

حلّ لغز الاديب جرجي عطيه

قد حلَّهُ تلميذان من تلامذة كليّتنا . فقال احدهما الشاب الذكيُّ اسكندر طحيني :

يا واضع اللغز هذا الاسم نعلمهُ — وطالبُ العلم يعليهِ ويكرمهُ
ان تلقِ حدَّيهِ فهو اسمٌ لدينا سما — وكيف لا وهو « درسٌ » جئت تعلمهُ
او بدءهُ هذا فنهرُ « الرسِ » تطلبهُ — وفي سويسَ اراك الان ترسمهُ
كذاك ان تحذف الحدَّ الاخير بدت — مدينةٌ نصفها في قلبهِ دمهُ
ان كنتَ من « مدرس » لا تدري موقعها — فالهند تنبئ عمّاً كنتَ توهمهُ
إستشهدِ الحق يا من سار سبل هدى — فالاسم « مدرسةٌ » حبّاً نقدّمهُ

وقال الثاني الاديب توفيق زبليط :

النزتَ في اسمٍ لهُ في القلب خيرُ صدى — فالعقل يوضحهُ ان كنتَ تبهمهُ
واللغزُ « مدرسة » للعلم محرزةٌ — تريد أبحرهُ دُرّاً وتكرمهُ
ان تُلقِ حدَّيهِ يبقَ الدرس منفردًا — يبكي على ربعهِ والهجر يؤلمهُ
او بدءه هذا وجدت الرسَّ منحدرًا — في وَعر أُوربَّ حيث الآرُ يلقمهُ
كذاك ان تحذف الحدَّ الاخير تجد — في الهند مرفى مليك البحر يملكهُ

أسئلة وأجوبة

س سألنا من صيداء جناب المعلّم الفاضل توما ايوب كيّال: ١ ماذا يُعرف من امر المعبد المعروف بسيدة المنطرة القريب من صيداء ومن اين يشتقّ اسمهُ: ٢ هل دخل سيدنا يسوع في صيداء عند مروره في تخومها. ٣ متى شرع ملوك فرنسة ان يضربوا النقود باسمهم أفي زمن شلدبير (٥١١—٥٥٨) ام كلوتير (٥٥٨—٥٦١)

سيدة المنطرة قرب صيداء

ج لا نعرف لمعبد سيدة المنطرة تاريخًا قديمًا وانّما ورد ذكرهُ في رحل بعض سيّاح القرن السابع عشر. والتقليد المحلي يروي انّ احد الرعاة اكتشفهُ بعد عهد الصليبيين بمدّة وكانت عنزة من قطيعهِ قد ضاعت منهُ فوجدها بعد العناء الطويل في مغارة تغطّي مدخلها الاشواك والصخور. وقيل انهُ وجد في داخلها مذبحًا تعلوه صورة العذراء. والمرجّح انّ تلك الصورة كان وضعها هنالك قومٌ من الصليبيين الفرنج. ثمَّ اشهر الراعي امر المنارة فاضحت مذ ذاك محجًّا لاهل تلك النواحي على اختلاف نزعاتهم واديانهم. وتكاثرت فيها المعجزات الى يومنا. وقد زاد عدد الزوار مذ بُنيت بقربها كنيسة دربسين بهمّة الشيخ حسين منصور المتوالي اثر آية عجيبة ظهرت لهُ سنة ١٧٤٩. امّا اسم المنطرة فهو مشتقّ من السريانية ܡܢܛܪܬܐ او الفينيقية מנטרה يُراد بهِ الحراسة والنَّظر. دعي بذلك لان القدماء كانوا اقاموا هناك قلعةً لحراسة الامكنة المجاورة. وقيل بل ان الصيدونيين قديمًا كانوا بنوا في ذلك الموضع معبدًا لإلهتهم عشتاروت وقد وجد المركيز دي فوكويه هذا الاسم في بعض كتابات حوران يدلُّ فيها على معبد قديم

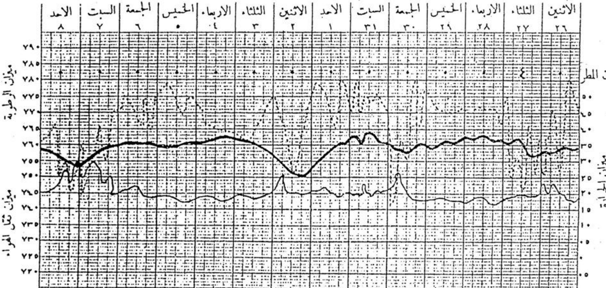
٢ هل دخل السيد المسيح مدينة صيداء

ج لم يُذكر في انجيل متى (١٥: ٢١) ومرقس (٧: ٢٤) سوى اجتياز السيد المسيح في تخوم صيداء. وفي تقليد اهلها انهُ لذكرهِ السجود دخلها. وهو امر لم يمكن الحكم فيهِ قطعيًّا

٣ النقود الاولى لملوك فرنسة

ج اول النقود التي ضربها ملوك فرنسة كانت في عهد ملكهم شلدبير ولكن ليس ضاربها هذا وانّما ضربها باسمهِ ابن اخيهِ تيودبرت ملك اوسترازية سنة ٥٤٨ بعد كسرتهِ لجيوش ملك الروم يستنيان (راجع Lenormant : *Monnaies et Médailles* p : 54

قائمة للآثار الجوّية من ٢٦ اذار الى ٨ نيسان ١٩٠٠



انَّ الخطّ الضخم (ـــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (ـــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (......) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر الملمترات